

قافلة الزيت

ربيع الثاني ١٣٨٩ - يونيو - يوليو ١٩٦٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قافلة الزيت

العدد الرابع المجلد السابع عشر

تصنّف شهرتاً عن:
شركة الزيت العربية الأمريكية

لموظفي الشركة - توزيع مجاًناً

محتويات العدد

صفحة

القافلة تسير

...وعلى المتعلمين أيضاً طلب العلم رئيس التحرير ٢

آداب

- المساء والغروب في الشعر العربي محمد عبد الغني حسن ٣
دروب الهوى (قصيدة) طاهر الزمخشري ٦
نشوء الأدب وتطوره في المملكة العربية السعودية عبد السلام الساسي ١٣
في سماء الغرور (قصيدة) جليمة رضا ١٦
أخلاق الناس في شعر ابن فارس د. أبو الوفا مصطفى المراغي ٢٣

عنهم

- الحيتان : صيدها ومنافعها عيسى مسلم ١٧
الريخ والكشف عن طبيعة سطحه د. نقولا شاهين ٣٧

استطلاعات

- حقل الغوار عصام العماد ٧
الطائف : ياقوتة معلقة فوق قمم الجبال حكمت حسن ٢٥
الجزائر : بلد يحفل بالآثار العربية والإسلامية محمد أبو الفرج العشي ٤٣

قصّة

- لمن أزوجها؟ يحيى باجنيد ٣٥

كتب

- مصطفى صادق الرافعي أبو طالب زيان ٤١
الحركة الأدبية في العالم العربي ٤٩

رئيس التحرير
والمدير المسؤول

منصور مدني
المحرر المساعد عون أبو كشك

العنوان: صندوق رقم ١٣٨٩

الظهران، المملكة العربية السعودية

يجوز الاقتباس والنشر منها دون
إذن مسبق على أن تذكر كمصدر

صورة الغلاف



سد عكرمة في الطائف (راجع المقال)

.. على المتعلمين أيضا طلب العلم

ولست الناس عند تعرفهم الى أمرى لأول مرة على أن يتساءلوا : ترى ماذا يحمل من الشهادات ؟.. الى جانب أسئلة أخرى عديدة . والسؤال نفسه يجابه طالب الوظيفة ، فبمقدار تعدد شهاداته يكون تقدمه في مدارج العمل . وقد غاب عن أذهان أصحاب الأعمال أن الشهادات العالية قد تخفي وراءها أشخاصا جل همهم اتخاذها وسيلة لنيل المناصب العالية ، ولا علاقة لها عندهم بما تدل عليه من تضلع في العلوم والمعارف ، وان عددا ممن لم تمكنهم ظروفهم من نيل الشهادات العالية قد يبدون بعضا من ذوي الألقاب العلمية الرفيعة . ذلك لأن أفراد الفئة الثانية اتخذوا طلب العلم ذريعة للحصول على الشهادات التي اعتبروها مفتاحا للوصول الى المنازل الرفيعة ، فكانوا يستوعبون من العلم مقدار ما يحقق لهم النجاح في الامتحان فحسب ، وفي تم لهم ذلك لم يحاولوا اثراء معلوماتهم بمزيد من المطالعة والبحث ، بل نسوا ما سبق ان تلقوه على مقاعد الدرس . وأنت ان دخلت بيوتهم رأيت مجلدات من أمهات الكتب منسقة على رفوف أنيقة ، وما هي للمعرفة نسقت .. وإنما للزينة والتباهي . وما هؤلاء بكثرة بين حملة الشهادات ، لحسن الحظ .

أما أفراد الفئة الأولى فقد تذوقوا حلاوة العلم ، فطلبوه لذاته ، سواء أكانوا ممن تلقوه في صفوف الدراسة في المعاهد والجامعات ، أم كانوا ممن نالوه بجهدهم واجتهادهم . ومن هؤلاء نبغ العباقرة ورجال الفكر ، وان أنت تحدثت الى أحد منهم بهرك بسعة اطلاعه في مختلف مجالات العلم والمعرفة .

ولست هنا أحاول أن أقلل من شأن الجامعات وما تمنحه من براءات للمبتكرين فيها ، ولكني ألوم فئة من الدارسين لعدم استفادتهم من القرض المتاحة لهم لنهل العلم في عصر توفر فيه ، وأصبح كالغذاء والهواء ضرورة . وقد تغلبت بعض معاهد الغرب على هذا الأمر باتباع أسلوب جديد في التعليم الجامعي العالي ، هو أسلوب « تعليم النفس » . وهذا الأسلوب يقصر شأن الأستاذ على الاشراف الدقيق لا غير ، بينما يعمل الطالب - بمفرده أو مع فريق من زملائه - على الوصول الى الحقائق بنفسه عن طريق الاستقراء والبحث العملي في ظل ذلك الاشراف ، فاذا حاد الطالب عن جادة الصواب أعانه الأستاذ على العودة الى الطريق الصحيح . والمعلوم أن البحث يشوق الطالب الى الاستزادة من العلم والمعرفة ، ويثبت المعلومات في ذهنه ثبوت النقش في الحجر . وبالإضافة الى ذلك تأخذ الجامعات على عاتقها تعديل مناهجها بحيث تواكب متطلبات العصر ومنجزات العلم وتقدم التكنولوجيا . وقد عرف العرب أسلوب البحث فظهر بينهم علماء حذقوا مختلف العلوم كالحديث والتفسير وفقه اللغة والطب والفلك والفلسفة وعلم الكلام ، وبرعوا فيها ، فأضافوا اليها جديدا مما توصلوا اليه نتيجة لبحوثهم .

وبالوقت الى ذلك كان لتوفر المكتبات المزودة بنفائس المصنفات أثر كبير في تعميم الثقافة للعامة والمراجع الضرورية للخاصة . بيد أنه ينبغي انتقاء الكتب بعناية ، لابعاد الغث منها وما لا يتفق مع المبادئ السليمة . وقد عمل العرب قديما على انشاء المكتبات العامة الغنية بمئات الألوف من المخطوطات في عهد لم تكن الطباعة فيه قد عرفت ، أو صناعة الورق قد انتشرت . فهذه مكتبة الحكم الثاني في الأندلس تحوي أربعمئة ألف مخطوطة ، وهي واحدة من مكتبات عديدة كانت منتشرة آنذاك في العالمين العربي والاسلامي . وبعد ، فليس كل ما ذكر بكاف ، ويجب على الدارس عدم التوقف حيث وصل حين تخرجه .. بل ينبغي عليه متابعة ركب العلم الذي يسير قدما ، ويثمر كل يوم اكتشافات جديدة وانجازات مبتكرة .

رئيس التحرير

يقترن غروب الشمس عند كثير من الناس بضروب من الحزن والمهوم والكآبة والشعور بالوحدة ، حتى ولو كان المرء محتاطا بالأخوان والأقران ... ويقود أول شعاع باهت من أشعة الغروب الى مجموعة من المشاعر القلقة الواجمة . تصل بالنفس الى مرتبة من الحزن الذي لا تعرف النفس له مردا ولا تعليلًا ... والشعراء أكثر الناس حساسية بوحشة الغروب ، وبالوحدة التي يثيرها المساء . وما أكثر الشعراء في أدبنا العربي الذين لم يبقوا صامتين أمام المساء . ولكنهم وصقوه . وعبروا عن مشاعرهم فيه . واحساسهم به . وشعورهم ازاءه ...

وقد دلت استقراراتنا لكثير من دواوين الشعر العربي القديم والحديث . والمشرقي والمهجري على أن شعراء المساء والغروب كانوا ما بين غليل أو غريب ، أو محب . أو مفكر . أو وحيد ..

فالشاعر خليل مطران يصاب بعلّة وهو نازل في ناحية « المكس » بالاسكندرية . وقد جمع في ذلك الحين الى علّة الجسم صباة القلب . فلم يدع هذه المناسبة تمرّ دون أن ينظم فيها قصيدة « المساء » التي اشتهرت في النقد الحديث . وقد جمعت هذه القصيدة بين هواجس الشاعر الغليل . ونواظر المحب الواقن . ولواعج المرء الوحيد المنفرد حيث يقول :

منفرد بصباي ، منفرد
بكتّاتي ، منفرد بعناني

وأروع الشاعر خليل مطران وهو يصف لنا الغروب ويحدد ماهيته . بأنه نزاع للنهار وصرعة للشمس بين مآتم الضوء . وطميس لليقين . ومبعث للشك . ومحو موقت للوجود . وإبادة لعالم الأشياء حتى يعود لها النهار من جديد فيجدها كأنه البعث :

الحس

والغروب

في الشعر العربي

بقلم الأستاذ محمد عبد الفني حسن

— بالغروب وما به من عبرة
للمتهم وعبرة للرائي
أو ليس نزعا للشهارة وصرعة
للشمس بين ماتم الأضواء ؟
أو ليس طمعا لليقين ومبعثا
للشك بين غلائل الظلماء ؟
أو ليس محوا للوجود الى مدى
وابادة لمعالم الأشياء ؟
حتى يكون النور تجديدا لها

ويكون شبه البعث عود ذكاء
وقد تنبه الشاعر سليم حيدر الى ما في الماء
من وجوم . فنظم قصيدته « وجوم الماء »
ينبه حبيته الى هذه الظاهرة . ويحذرها أن
تستسلم فيها الى الحزن . ويشيرها بأن الضياء
سوف يفتق في الغد . ويرحب بالليل لأن وجه
الظلام بسمه ورضا . فيقول :

أتبكين هذا العفاء
بحضن الماء الأركن ؟
حنانك لا تحزنني !
غدا بتطبق الضياء

دعي الليل يأتي فوجه الظلام رضا وابتسام
وهذه النظرة المتفائلة الى وجوم الماء عند
الشاعر سليم حيدر تسبقها نظرة تفاؤلية أخرى
عند الشاعر ايليا أبي ماضي . فهو في قصيدته
التي عنوانها « الماء » يدعو حبيته الى عدم
الاستسلام للحزن عندما يستر الليل السهول والوعور .
كما يدعوها الى أن يكون وجهها بأشأ متهللا عند
المساء كما كان كذلك عند الصباح . ويدعوها
الى التمتع بما في ظلام الليل من جمال الشهب
اللافتة اللامعة . قبل أن يأتي زمان كالضباب
أو الدخان لا تبصر العين فيه عديرا . ولا تلذ
الأذن للمياه حريرا :

فاصغي الى صوت الجداول جاريات في السفوح
واستشقي الأزهار في الجنات ما دامت تفوح
وتمتع بالشهب في الأفلاك ما دامت تلموح
من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان
لا تبصرين به الغدير
ولا يلذ لك الخير ...

أن قصيدة أبي ماضي في الماء
تثير ألوانا من التفكير . لأن وضع
الحبيبة رأسها في يديها عند المساء . واستلامها
للفكر . قد جعل الشاعر يألها : فيم تفكرين ؟
ويخلص الشاعر من تفكيره الى أن المساء — أو
الليل — لا يفرق بين الأحياء والأشياء في توزيع
الظلام عليها ... فهو عادل . يخفي المدائن
الكبيرة كما يخفي القرى المتواضعة ... ويخفي
ابتسامات الطروب كما يخفي دموع الباكى ...
فلماذا الجزع على النهار المدير مع أن للدجى
أحلامه اللذيذة وساءه وكواكبه ؟

لا فرق عند الليل بين النهر والمستنقع
يخفي ابتسامات الطروب كأدمع المتوجع
ان الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع
لكن لماذا تجزعين على النهار ، وللدجى
أحلامه ورغائبه
وسماؤه وكواكبه ؟

ويتنزه الشاعر أبو ماضي من هدوء الليل
وسطوع الكواكب فرصة للدعوة الى اطراح الكتابة
والهم . وبهذا يجعل من أحزان المساء مجالات
لإشاعة الفرح والتفاؤل بالحياة . فيقول :
مات النهار ابن الصباح فلا تقولي كيف مات !
ان التأمل في الحياة يزيد أوجاع الحياة
فدعي الكتابة والأسمى واسترجعي مرح الفتاة !
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا
فيه البشاشة والبهاء
ليكن كذلك في المساء .. !

ويمزج الشاعر محمود أبو الوفا بين حلول
المساء وذكريات الحب في قصيدته « عندما يأتي
المساء » . فكل نجم في السماء راح يتنور بنجم
آخر . الا قلب الشاعر المحب فهو ما يزال
حيران على الأفق :

كل نجم راح في الليل بنجم يتنور
غير قلبي فهو ما زال على الأفق محير .. !
صور الطبيعة وألوانها في المساء
عند الشاعر عدنان يصور لنا الجوزاء ،
بك . ومحمود حسن اسماعيل . فقد لوتنا
بريشتهما الصنّاع كل مجل من مجالي الكون
عند المساء . فالشاعر عدنان يصور لنا الجوزاء ،
ويشبهها بزوجين أو أيك معمر . ويصف النجم
والنهر كما يقول في قصيدته « المساء » :

نحسب الجوزاء روضا ممرعا
شوّت أبكته ربح رخاء
ولضاحي النجم من ريقه
جدة المصباح يزكبه الضياء
وكان النهر في زرقته
ساطع الفجر اذا شئت ذكاء
لست تدري أسماء أطلعت
لجة الماء ، أم الجوزاء ماء ؟ !
وحواشي الليل أفواف لها

في سد الأفق نشر وانطواء ...
على أنه في قصيدته الأخرى بعنوان « المغرب »
يصور الوحشة في المساء حينما تعلو أكاف الربى ،
فيلوي السوسن جيده كسيا . ونطرق الخزامي
مغمضة العين . ويرفص الندى في جنح الدجى
مثل ارفضاض القطر أو دمع التصابي .. أما
الشاعر محمود حسن اسماعيل فيصور في قصيدته
« من خواطر المساء » وجه الشمس المحترقة عندشط
الأفق . والحقل السابح في الأنير المذهب . وزهرات
القطن الصفراء وهي تصغي الى الجدول المغني :

ووجهة الشمس حين تبدو
بشاطيء الأفق في احتراق
كأنها كاعب تعاني
مرارة العشق في الفراق
ويسبح الحقل في أثير
مذهب الوشي والنطاق
أزاهر القطن فيه لاحت
صفراء عذرية العناق
تصبح للجدول المغني
بمدمع في الثرى مراق
ونمع النوح من أسر
مقيد هام بالسواقي ...

تصرف الطبيعة في المساء شاعريتنا عدنان
مردم بك ومحمود حسن اسماعيل عن
لواعجهما ، وأشواقهما . فالأول يذكره المساء
ذكريات عزيز غاله القضاء (ومن الذكرى شجون
وعناء) ، والثاني يلقي فتاة أحلامه فيرشف النور
من طيوف شفاقة توتنه في ظلام المساء ...
وما أطالت شاعرة عربية أناشيدهم
والوحدة عند المساء كما فعلت الشاعرة العراقية نازك
الملائكة ، ففي قصيدتها « الغروب » من ديوانها
(عاشقة الليل) توحشها أصوات الظلام ، حتى نباح
الكلب في الحقل البعيد . فكل صوت في الدجى
هو عندها رعب جديد لمن كان وحيدا مثلها :
ونباح الكلب في الحقل البعيد
رف في سمعي ضيلا مجهدا ..
موحشا في ظلمة الليل الوليد
غامض الوقع غريبا كالصدى
كل صوت في الدجى رعب جديد
عند من قد كان مثلي مفردا ...

وتبدو نازك الملائكة في أحزان المساء متشائمة كل
التشاؤم ، مسرفة في الهم ، والبكاء ، والوحدة ،
والوحشة . وتذكرنا في خواطرها المسائية الحزينة

الكثيية بالشاعر المهجري ميشال مغربي ، الذي
عذّبه الوحدة في المساء وهو مكبّ على همومه :
نشرت راية الأصيل لتطوي
صفحة اليوم بعد صفحة الأمس
هوذا الليل هاجم في سواد
يغمر الأرض بالأسى والتأسي
ناشرا راية الكتابة حتى
لأخال الوجود مرآة نفسي
واذا كانت الوحدة والوحشة هما آفتا بعض الشعراء
عند المساء ، فإن الغربة قد حيرت وشرّدت
منام شاعر آخر هو كمال نشأت . ففي قصيدته
« غريب في المساء » يصور لنا انسانا مشرد
المشاعر ، يوتمل الشروق وقلبه في ليله غريق :

توجعت في عتمة السماء
قبرة حزينة الغناء
في صونها كآبة المساء
فهومت خميلة الضياء
ولملت أشعة وضاء
فسار في مسارب البطاح
كنعب قد هدته الكفاح
فأنبتت جراحه جراح
حصاها في قلبه نواح
تريقه في دربه الرياح
لا وطن يومه قريب
لا عودة يرقبها حبيب
بل رحلة طريقها هيب
وراحل محطّم كتيب
وغربة في عالم غريب

أوحى المساء الى شاعرين من شعرائنا
قند بأن يتمنى كل منهما على حبيته أن
تجول معه في الليل يذرعان الأرض بلا توقف الى
الأبد ، كما تمنى الشاعر الفرزدق قبلهما أن
يكون هو وحبيته بعيدين هائمين في القلوات ...

ولكن الفرزدق يتمنى أن يهيم مع محبوبته ليلا
ونهارا ، فالزمان عنده على سواء ... أما شاعرنا
المعاصران فيتمنيان الهيام مساء وليلا : فالشاعر
الدكتور ابراهيم ناجي يقول في قصيدته « المساء » .
نمشي وقد طال الطريق بنا
ونود لو نمشي الى الأبد
ونود لو خلت الحياة لنا
كطريقنا ... وغدت بلا أحد !

والشاعر « عمر النص » يقول في قصيدته
« المساء » من ديوانه « الليل في الدروب » :
قلت : أقبلي نلزع الطرق
ما بقاؤنا نحدج الأفق ؟ !
وجدنا شاعرا عربيا أنس بالغروب
ومحاسن ألوانه ويدائع مرآته في بعد عن
الهم والكآبة والوحشة مثل الشاعر المهجري الياس
فرحات . فقد أوحى اليه غروب الشمس في مدينة « الأفق
الجميل » بالبرازيل لوحة فاتنة موشاة الجلابب ،
فكانت قصيدته « الغروب » التي صور فيها ألوان
الشفق بما يبدو فيها من مرآة كالأنهر والبحيرات
والرعاة والقطعان والجبال والصحاري والقصور ...
وتختمها بتوديع هذا المشهد المسائي الرائع قائلا :

فعم مساء يا غروب الأفق الجميل
أنت الى الحسن الذي لا ينتهي دليبي ... !
أما حمرة الألوان المتأججة في السماء والمنعكة
على الأرض في ساعة الغروب عند موت النهار ،
فقد صورها الشاعر اللبناني « شارل قرم »
في شعر فرنسي ترجمه الشاعر المهجري شفيق
معلوف في شعر عربي منه هذا المقطع الرقيق :

وعند موت النهار
يشعل المساء فتلتظي في الماء
مجامر من نار
وهكذا أوحى المساء والغروب الى شعرائنا
بصور متباينة الشعور

كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة بكتابين جديدين هما ابوجعفر المنصور للاستاذ علي ادهم ، وقد صدر
عن دار الكتاب العربي للطباعة والنشر في القاهرة ضمن سلسلة أعلام العرب . وبدايات الخليفة
للاستاذ خليل رامز سركيس الذي ترجمه عن الفرنسية ، وقد صدر عن دار المنشورات العربية
ببيروت ، وهو من تأليف الاستاذ رينه حبشي .

دروب الهوى

للشاعر طاهر الزمخشري

يا دروب الهوى عبرتك بالشوق الى فتنة القريب البعيد
والجمال الطروب ينشر أفكاري الحيارى على شريط جديد
وصفير القطار ، في كبد الصحراء يوحى ترنيمه بالقصيد
والهوى فوق مقلتي نظرة حيرى ، وفي الصدر يرسم بالوقود
كلما هزه الخنن تظلي وترامت أطرافه في النجوم
والحباب المتنازع في أفقه الغائم يكي من جلجلات الرعود
والرذاذ الذي يمح يروي بالندى مفرح الخيال الشرود
وهو من خلقه تطوف به اللهفة في مركب الغرام الوليد
وعلى البعد علقت نظرات غردت بالمنا لأحلى الوعود

يا دروب الهوى فؤاد العميد كبتك الالام بالتهيد
وعلى زحمة المواجه منه طار شوقا اليك رغم القيود
حفقة أثر حفقة تنزى في أنين مستعذب التريد
والأغاريه في جمال الثريا وهي تختال في شفيف البرود

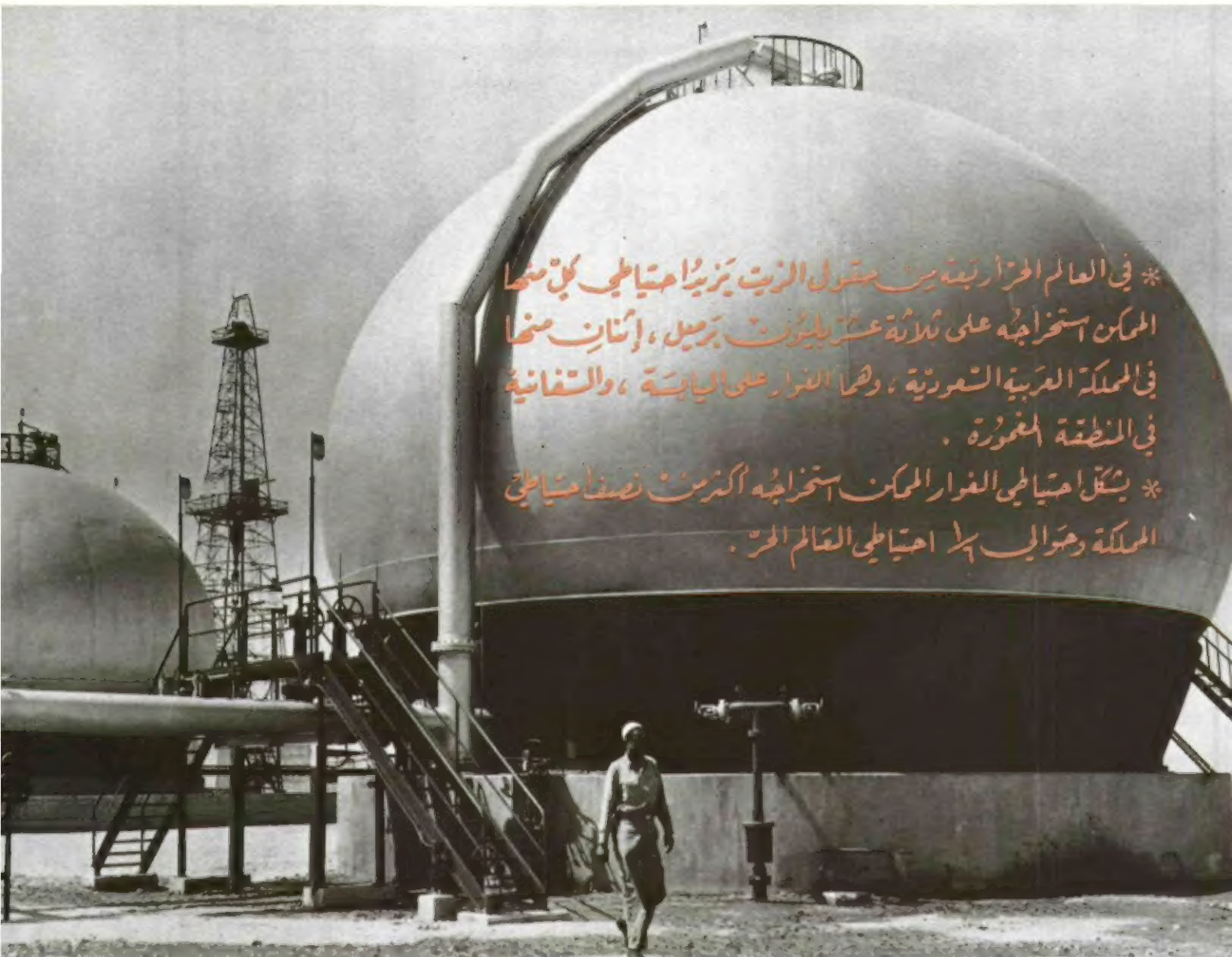
أسفرت والضحى على طرفها الفافي يبتث الفتون بالتفريد
تغض الطرف لا صدودا ولكن للتلهي بخافق مفؤود
قيده على المفاتن بالهد ، ومنته بالصباح الجديد
فالثريا ، ويالحن الثريا ناغمات بالمنى ابتسام الورود
واستدارت تحرك الحب فيه وتناغيه بالهوى المولود
وهو في دربه يجدف بالشوق ، ويدنو لحوضها المورود

يا دروب الهوى جمال الثريا لم يزل بالنسا ينير وجودي
وبأحاطها يفرد للحن ، ويختال في مطارف سود
والصدى في الكون يخرق الصمت بأنفاس عاشق متزايد
وعلى رجعه ، وبالفتنه القظى وجيبي يبري بخطو وثيد
أهة أثر آهة تعبر الدرب ، وتهفو الى الجمال الفريد
والثريا من أوجها ترقب الساري بومض مستعذب التفريد
وابتساماتها قصي الدياجي بالصبا من فتون روض نصيد
زهرة يرتوى بلذوب قلوب ونداء يذيب أقصى الكبود
وتعابره الباشاة ، والعطر ، وراد الضحى ، وأصداء عود
كلها للقاء تنشر ظلا وتبيل الصدا بعود عميد ..



حقول الغوار

عُملاق حُقُول السَّيْت
فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ



يسر زيت حقل الغوار ، قبل وصوله الى معمل التركيز في بقيق ، بسبعة خزانات كروية حيث تتم المرحلة الثالثة لفرز الغاز من الزيت .

الغوار حقل زيت بري يقع في غربي المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية على بعد حوالي ٩٠ كيلومترا من شواطئ الخليج العربي . والغوار ، ككل حقل زيت ، عبارة عن خنيرة (١) من التشكيلات الصخرية تحتجز في احدى طبقاتها كمية معينة من الزيت تكثر وتقل ، تبعا لسمك الطبقة الحاملة ، ومدى مسامية صخورها ونفاذيتها ، ومدى اتساع قوس الخنيرة ، وغير ذلك من العوامل . وخنيرة حقل الغوار مستطيلة الشكل تمتد مسافة ٢٧٠ كيلومترا من الشمال الى الجنوب ، مما يجعل منه أطول

حقل زيت في العالم في حين أن عرضها يتراوح بين ١٥ و ٤٠ كيلومترا . ويعرف حقل الغوار لدى الجيولوجيين باسم « خنيرة النعلة En-N'ala » . ويجري انتاجه حاليا من ست مناطق مختلفة ظلت في السابق انها حقول مستقلة ، ثم أثبتت الدراسات فيما بعد انها جميعا تشكل حقلا واحدا مترامي الأطراف تمتد الاتساع تبلغ مساحته ٣٧١٠٠٠ فدان . وتقدر كمية الزيت الموجودة في مكامن حقل الغوار بما يتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ بليون برميل مكمني (Reservoir barrels) ، في حين يعتقد بأن الاحتياطي

الممكن استخراجه من هذه المكامن يتراوح بين ٤٥ و ٦٠ بليون برميل ، يعتمد ذلك على جدوى استخراجه من الناحية الاقتصادية . ولذلك فهو يعتبر أحد أغنى حقولين بالزيت في العالم بأسره ، أما الحقل الثاني فهو حقل « برقان » بالكويت . وتدل المعلومات المتوفرة حاليا أن احتياطي حقل الغوار الممكن استخراجه بشكل أكثر من نصف احتياطي زيت المملكة ونحو سدس احتياطي العالم الحر بأسره ، وأكثر من أربعة أضعاف ما أنتجته أرامكو من الزيت الخام منذ بدء انتاجها حتى الآن .

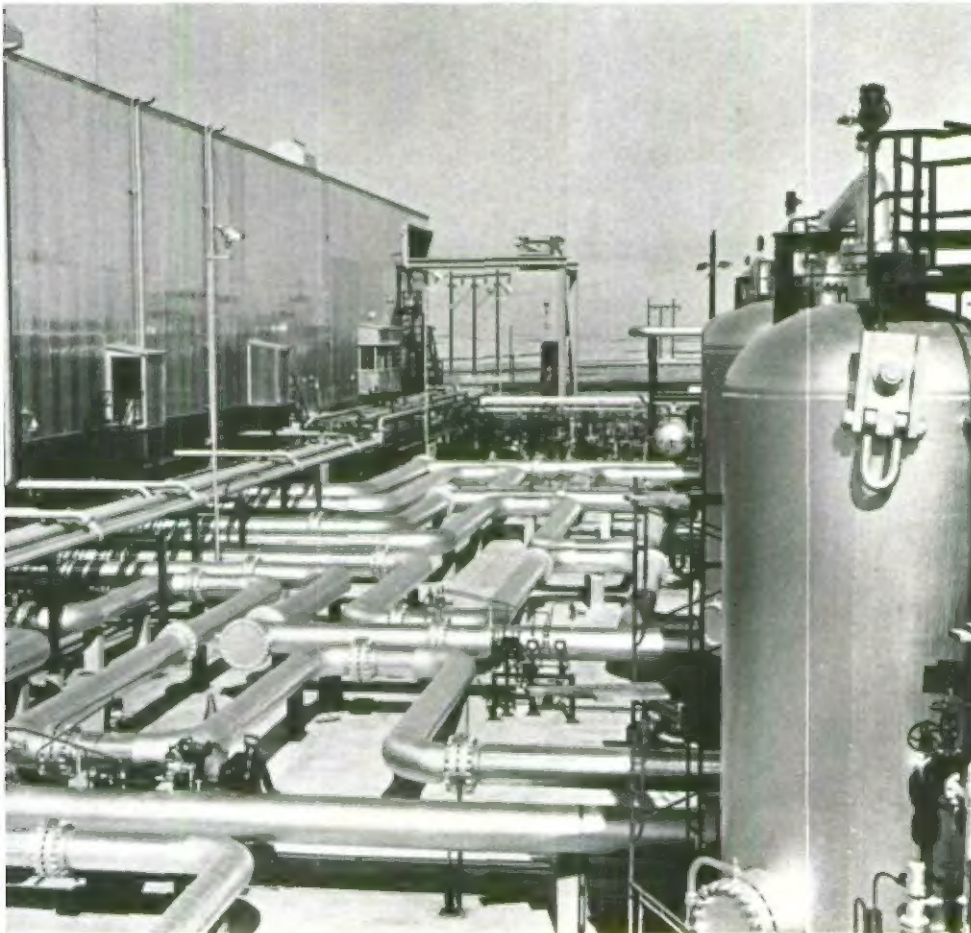
سايخ الحقيل

ان أول من أشار الى وجود حثيرة « النعلة » المستطيلة القوس هما جيولوجيا أرامكو « ستاينكي » و « كوخ » عام ١٩٣٥م ، وذلك أثناء وضعهما الخرائط السطحية للصخور المايوسينية والبليوسينية . على أن الخرائط الخاصة بالتشكيلات الصخرية التي تلت ذلك أظهرت المزيد من الأدلة على احتمال وجود الزيت في تلك المنطقة ، حتى ان مهندسي رسم الخرائط السطحية كانوا على بينة ، خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤١ ، من وجود مرتفعات صخرية خمسة في تلك المنطقة ، الا أنه ورد في تقرير « ستاينكي » خلال عام ١٩٤٠ ، ان هذه المرتفعات يحتمل أن تكون امتدادا لحقل زيت واحد . وفي عام ١٩٣٩ ، بوشرت أعمال الحفر في « عين دار » ، لمعرفة التشكيلات الصخرية ، ثم استوفت جنوبا حتى بلغت « حرض » عام ١٩٤١ . غير أن نشوب الحرب العالمية الثانية حال دون استمرار التنقيب ، فتوقفت الأعمال فترة من الزمن ، لتستأنف في « عين دار » عام ١٩٤٧ وفي « حرض » في ربيع العام الذي تلاه . واكتشف الزيت بكميات تجارية في « عين دار » في يونيه عام ١٩٤٨ ، وفي « حرض » في فبراير عام ١٩٤٩م ، بينما كانت تقوم في « العثمانية » و « الحوية » ، ابان ذلك ، أعمال حفر أخرى لمعرفة التشكيلات الصخرية .

وفي مطلع عام ١٩٥١م كانت جميع المعلومات المتعلقة بمقاطيسية حقل « الغوار » وجاذبيته قد جمعت . وبانقضاء ذلك العام كانت أعمال الحفر في العثمانية قد أسفرت عن اكتشاف الزيت بكميات تجارية . وفي وقت لاحق من العام نفسه تمت اقامة معملين لفرز الغاز من الزيت في « عين دار » وتشغيلهما . وفي عام ١٩٥٢م أشيد معملان آخران لفرز الغاز من الزيت في « عين دار » ، واكتشف الزيت بكميات تجارية في « شدقم » . وعلاوة على ذلك ، فقد تم التأكد من أن المنطقتين المذكورتين تشكلان مع العثمانية حقلًا متصلًا واحدًا بعد أن أخذت الدراسات تتوالى والمعلومات تزداد وضوحًا . وفي يناير عام ١٩٥٣ ، بوشر في انشاء معمل لفرز الغاز من الزيت في « شدقم » ، بينما بدى بالانتاج منه عام ١٩٥٤ . وفي هذا العام نفسه تم حفر بئر « حرض رقم - ٨ » التي أسفرت عن العثور على الزيت من ناحية ، وامتداد حقل « الغوار »



جانب من معمل فرز الغاز من الزيت العثمانية رقم ١ .



جانب من أجزاء معمل حقن الغاز في عين دار .





شدقم ، هي إحدى المناطق الغنية بإنتاج الزيت في حقل الغوار .

«شدقم» ما بين ٣٥° و ٣٦° في حين أنها لا تتعدى في حرض ٣٢° - ٣٣° ، كما تتفاوت درجة لزوجته تبعاً لذلك ما بين ٠,٨٦٠٢ و ٠,٨٤٩٨ .

إنتاج الغوار

بدأت أرامكو بالإنتاج من حقل الغوار عام ١٩٥١ بطاقة مبدئية مقدارها ١٢٠٠٠ برميل من الزيت الخام في اليوم أنتجت من منطقة عين دار . ثم عمد بعدئذ إلى تطوير مناطق هذا الحقل تدريجياً الواحدة تلو الأخرى ، حتى بلغ مجمل إنتاجه عام ١٩٥٧ من مناطقه الثلاث «عين دار» ، و«شدقم» ، و«العثمانية» ٥٨٣٩٨٨ برميلاً يومياً . ومضت الشركة في تطوير هذا الحقل ومنشآته ، عاماً بعد عام حتى أصبح معدل إنتاجه اليومي من مناطقه الانتاجية الست فرزان ، وعين دار ، وشدقم ، والعثمانية ، والحوية ، وحرض ، في نهاية العام المنصرم ، ١٥١٩٥٦٤

الأعلى ، والتي تقع على عمق نحو ٢٠٠٠ متر تحت سطح الأرض . وهناك طبقات أخرى أعمق من الطبقة (د) تحتوي على الزيت ، وهي تشكل مكامن «حنيفة» ومكامن «الفاضلي» الأعلى اللذين يرجع عهدهما إلى العصر «الجوراسي» الأعلى الأوسط .

على أن تشكيلات الطبقة الجيولوجية المنتجة في حرض تختلف عن تشكيلات بقية المناطق المنتجة في حقل الغوار ، إذ تقل فيها الصخور الكلسية الرضخية ، كما يقل فيها سمك الطبقة (د) المنتجة نفسها ، على أن سمك الطبقة (د) في المنطقة الجيولوجية العربية فسي «عين دار» ، و«شدقم» و«العثمانية» تكاد تكون ثابتة وتبلغ حوالي ٤٣ متراً ، وتبلغ نسبة نفاذية صخورها حوالي ٢٢ في المائة . وكلا الرقمين السالفين أكبر من الأرقام المماثلة في «حرض» .

هذا وتزداد درجة ثقل زيت الغوار النوعي كلما اتجهنا شمالاً ، حتى أنها تبلغ في

المغمور بالمياه إلى ذلك المدى من ناحية أخرى . وبعد تحديد امتداد حقل «الغوار» من الناحية الجنوبية ، عمد إلى تطوير منشآت إنتاجه حسب المخططات المرسومة ، بينما تحولت أعمال الحفر إلى شمالي «عين دار» لتحديد مدى امتداده من الناحية الشمالية . وفي عام ١٩٥٦م عثر على الزيت في «فرزان» ، لتثبت الدراسات فيما بعد بأنه أيضاً امتداد لحقل الغوار .

تشكيلات الحقل

يمتد حقل الغوار من شمالي «فرزان» في الشمال ، إلى جنوبي «حرض» في الجنوب بارتفاعين بارزين منفصلين على شكل سرج الفرس . ويعود عهد صخورهِ البارزة إلى العصر «الأيوسيني» في حرض ، وإلى العهد «المايوسيني» في أجزائه الباقية . وأكثر الطبقات الصخرية إنتاجاً في هذا الحقل هي الطبقة (د) من المنطقة الجيولوجية العربية التي يعود عهدهما إلى العصر «الجوراسي»

برميلا من الزيت الخام ، في حين بلغ اجمالي
كميات الزيت الخام التي أنتجت منه وصدرت
الى الأسواق العالمية منذ بدء انتاجه حتى نهاية
ديسمبر من العام المنصرم ١٧٠١٤٠٦٤ ٤٧٣٥
برميلا أي حوالي ٤٠ في المائة من انتاج أرامكو
الاجمالي منذ باشرت أعمالها حتى الآن .

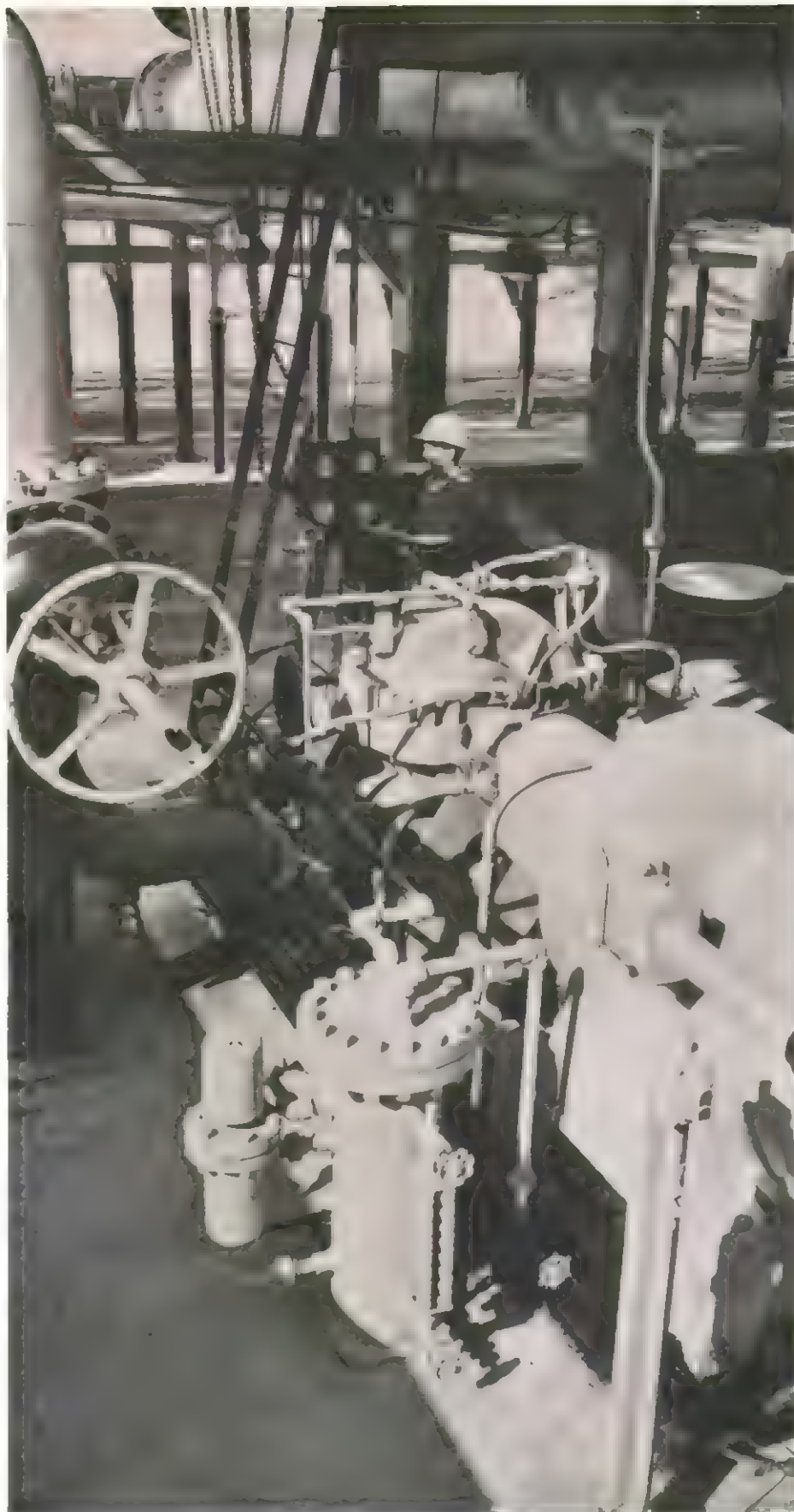
مرافق الحقن

ويضم حقل الغوار ١٣٨ بئرا منتجة للزيت
تقع جميعها في المناطق الانتاجية الست الآتفة
الذكر . وتتولى أنابيب التجميع نقل زيت هذه
الآبار الى أحد عشر معملا لفرز الغاز من
الزيت تتم فيها مرحلة الفرز الأول والثانية ،
ثم يضخ الى بقيق تحت ضغط مرتفع عبر ثلاثة
خطوط للأنابيب هي : عين دار - بقيق رقم ٢ ،
ويبلغ طوله نحو ٤٧ كيلومترا ويتفاوت قطره ما بين
٦٠ و ٦٥ سنتمترا ، والعثمانية - بقيق رقم ١
ويبلغ طوله نحو ١٠٢ من الكيلومترات ، ويتراوح
قطره ما بين ٧٥ و ٧٨ سنتمترا ، والعثمانية - بقيق
رقم ٢ ، ويبلغ طوله ٥٤ كيلومترا ويتراوح
قطره ما بين ٨٥ و ٩٠ سنتمترا . ويتجمع زيت
هذا الحقل في بقيق في ستة خزانات كروية ،
سعة كل من ثلاثة منها ١٠٠٠٠ برميل وسعة
كل من الثلاثة الأخرى ٤٠٠٠٠ برميل . وفي
هذه الخزانات تتم المرحلة الأخيرة لفرز الغاز من
الزيت ، ليستخدم الغاز في صنع غاز البترول
السائل ، بينما يستكمل الزيت الخام رحلته الى
معمل التركيز في بقيق ، حيث يتم تخليصه
من غاز كبريتيد الأيدروجين السام وبعض الغازات
الأخرى ، ثم يوالي جريانه الى مرافق الشحن
والتكرير .

ومن منشآت هذا الحقل أيضا بضع محطات
للضخ لدفع زيتة عبر الأنابيب الى مختلف
المرافق والمعامل في بقيق . ومن المعروف أن زيتة
يندفع من باطن الأرض الى فوهة البئر بفعل
ضغط المكامن الطبيعي الذي يحافظ عليه بحقن
الغاز أو الماء حسب المتطلبات الفنية اللازمة .

هذا ، وما زال مهندسو الزيت والانتاج في
أرامكو يواصلون دراساتهم على حقل الغوار لمعرفة
أفضل السبل لتطوير انتاجه وتوسعة مرافقه . وقد
نكشفت الدراسات عن صحة اعتقاد بعض مهندسي
البترول بأن حقل الغوار قد يصبح في مقدمة
حقول الزيت في العالم الحر ، مساحة واحتياطيا
وانتاجيا ■

تصوير : برني مودي وعلي محمد خليفة
١٢



بعد خروج الزيت من حقل الغوار ، يتولى ضخه عبر خطوط الأنابيب عدد من المضخات .

قبل الولوج في الحديث عن الأدب في المملكة العربية السعودية ، أود أن أستعرض موضوع الأدب وحقيقته وأهدافه وأغراضه بما يتفق وحالات الحياة العامة على ضوء بعض ما قاله رجال الفكر ، وما أكثر ما قالوا في هذا المجال :
 « ان سيل المداد الذي تسكبه الأقلام هو القوة الدافعة المؤثرة .. هو رأس مال الأمة . وعلى قدر ما تملك الأمة من تلك القوى ، وعلى نوعها ، يتوقف مكانها في الوجود الانساني . »
 والأدباء :

« آمنوا بالقلم فتقدموا برسالتهم لتكون أقلامهم وثبة التاريخ التي تعيد للأمة أعلامها من قافلة الحضارة الانسانية . »

« هم الذين يعيشون أمانى الحياة وأهدافها ، ويرسمون أحلامها وألوانها ، وان آراء الناس وعقولهم صدى لخواطرهم وأهوائهم . وقد قيل على هذا الاعتبار أن القيم الانسانية تصاغ اليوم من جديد ، لا بأيدي رجال السياسة والاقتصاد ، بل بأيدي الرجال الذين تلون أفكارهم أفكار جيلهم .. تصاغ بالقلم والبيان اللذين علم بهما الرحمن . »
 أما فكرة نشوء الأدب وتطوره في البلاد العربية السعودية فقد قامت في أعقاب الحركة الفردية ، وتبلورت وانصهرت في بوتقة الاخلاص لرسالة الفكر .. فكانت الحركة تتأرجح بين الحنين والآخر ممثلة في نفر ضئيل من عشاق الأدب وهوائه ، ثم في أعقاب الممارك الأدبية التي كان لها أعمق الأثر في بروز الأدب ورفع مستواه الى حد أثار اهتمام الناس في الداخل والخارج . وقد جعل الأدب سواد الناس يشعرون بكيان هذا البلد وعظمته الأصيلة ، منذ كان العالم بأسره يتخبط في دياجير الظلام والضلال الى أن هبت عليه نسيمات الحق والخير ، فاستشف منها عيب الحياة ، وأصبح بفضلها عالما حراً يسط نفوذه وسلطانه على شعوب الأرض .

والتفت لتاريخ الحركة الأدبية في بلادنا يدرك تماماً أن حالة الأدب منذ أكثر من خمسين عاما كانت أشبه بحلقة يعيش فيها أرهاط من العارفين بقيمة الأدب . فقد كانت حرية الفكر مكبوجة ، والبراع سجيناً ، والآمال مختنقة في حنجرة الزمن ، كما كانت الأمانى مخبوءة في طيات الأقدار تتأرجح مع الأحداث والمفاجآت التي طرأت فسي الأجواء العربية ، وفي محيط الأدب بالذات . ولكن سرعان ما دب ديب الحياة في نفر من الشباب السعودي فانطلقت من أحد الأحياء الشاعرة صرخة

نشيد للادب ونقط في المملكة العربية السعودية

بقلم الأستاذ عبدالسلام السامي

مدوية تطالب بفك الحجز عن المشاعر والأحاسيس فاستجاب لها يومذاك جلاله المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، موحد الجزيرة وباعث نهضتها . وعلى سبيل الذكرى نذكر طرفا من تلك الصرخة المدوية التي يرجع تاريخها الى ما قبل ستة وأربعين عاما ، والتي أطلقها شاب سعودي لم يبلغ العشرين من عمره حينذاك .. هو الأديب الأستاذ محمد حسن عواد ، الذي قال يحى العهد السعودي في شخص الجريدة الشعبية الوحيدة « بريد الحجاز » :

صاح حي الرقي حي السلام
حي داعي الزمام حي الوثام
حي عصر النهوض حي التعالي
حي بالمجد أمة تسامي
ألف أهلا بصادح يتغنى
في نواحي البلاد يبغى التثام
يا بريد الحجاز ان قلبا
ظلمات ترى الجمود حراما
يا بريد الحجاز بل غليلا
قد براها واربا بها ان تضاما
يا بريد الحجاز أفواه قوم
ملجمات فحل عنها اللجام
الى أن يقول :

طال سجن البراع والآن نبغي
أن نرى في فم الزمان ابتساما
كفكف الدمع يا براع وغرد
نحو دوح الطروس عاما فعاما
كانت تلك احدى بدايات قصة نشوء الأدب في بلادنا في العهد السعودي الذي أطل بكل جديد في عالم الفكر والعرفه .

أخذ الأديب الناشيء يرسل نماذج أدبه نثرا وشعرا بواسطة البريد بين بلدة وأخرى ، أو بين حي وآخر على شكل مساجلة تحمل شتيه النظم والنثر ، فيتناوله بعضهم بالاشارة والاطراء ، أو بالنقد والتوجيه .. وهكذا .. الى أن أخذت روح الأدب تتعش وتزدهر نسيا .

وهنا يجدر بي أن أذكر بعض رواد الحركة الأدبية منذ فجر العهد السعودي ، لا سيما أولئك الذين كانوا يمثلون حجر الزاوية الذي ارتكز عليه محور الأدب في هذه البلاد . وفي طليعة هؤلاء معالي الأستاذ محمد سرور الصبان أحد الرواد الأوائل للأدب ، وصاحب المدرسة التي كان يرتادها عدد كبير من الأدباء . وقد جمع معاليه في سنة ١٣٤٤ هـ نماذج شعرية ونثرية لبعض

الشبان البارزين في كتاب خاص أطلق عليه اسم « أدب الحجاز » . كما يضم الرعيل الأول من الأدباء الذين مهدوا للفكر والأدب الأستاذة : محمد حسن عواد ، وعبد الوهاب آشي ، وأحمد ابراهيم الغزوي ، وعمر عرب ، وحزمة شحاته ، ومحمد سعيد العامودي ، وعبد الوهاب نشار ، وعبد القادر عثمان ، وصلاح خليدي ، ومحمد صبحي طه ، وجميل مقادمي ، وعبد الله فدا ، وحامد كعكي ، ومحمد علي رضا .

أسلفت ، كان الأستاذ العواد يرسل نماذج من أدبه بين بلد وآخر على شكل مساجلات تجمع شتيه النظم والنثر .. أذكر هنا طرفا من مساجلة شعرية جرت بينه وبين الأستاذ عمر عرب . وكان البادئ بهذه المساجلة الأستاذ العواد حيث بعث بقصيدة من جده الى صديقه الأستاذ عمر عرب في مكة المكرمة ، وقد رد عليها الأخير بقصيدة ماثلة . قال العواد :

غانية الأيك سقاك السحاب
نوحى معي قد راقتي الانتخاب
وحركي المغرم في وجده
فأحلب أضناه

يا سلوة العاشق يا ذات آه
يا كهرباء الوجد واحسرتاه
فوادى العاني على وقده
شدوك أشجاه

بعيشك الغض بظل الأراك
من ذا الذي بالرغم أضنى قواك
أشادن قد جار في صده
قلبك يهواه

الى آخر قصيدته . ورد عليه عمر عرب ، يقول :

يا بلبل الروضة حي الصباح
مقبلا غني لغور الأقاح
واصدح فاني موله مولع

تيمه الحب
واعزف فاني قد دهنتي الشجون
ومتضني الوجد ولا من معين
فبت دامي القلب لا أهجع

وعقني الصحب
أساهر النجم وأهمي الدموع
وأذكر الحب بقلب هلوع
وقد تناءى الحب والمربع

وأفلق الركب
ويجدر بي هنا أن أذكر المؤلف الأدبي « خواطر مصدحة » لمحمد حسن عواد ، الذي أصدره بروح الشاب المتدفق حيوية وانطلاقا ،

فدعى فيه الى نبذ القديم البالي والتجديد والابتكار . وقد دبجه معالي الأستاذ محمد سرور الصبان بكلمة مقضبة ، ولكنها مؤثرة ، تساوقت مع روح الكتاب الذي ترك أعماق الأثر في نفوس شباب الجيل ، كما قدم له أيضا الأستاذ عبد الوهاب آشي بمقدمة ضافية .

بعد ذلك دور المعارك الأدبية التي دارت رحاها بين نفر من الأدباء . فالمعركة الأولى كانت في سنة ١٣٤٥ هـ بين كل من العواد ، وحزمة شحاته ، وعندما كانا طالين في مدرسة الفلاح بجدة ، وكانا معتدين بنفسيهما كثيرا ، فتولدت بين الأدبيين غيرة شديدة . وقد انتهزت ادارة مدرسة الفلاح ما لديهما من موهبة فكرية ، فأخذت تدفعهما الى المنافسة .. وكان العواد يصلي المدرسة بنيران النقد ، فاستعانت المدرسة بحزمة شحاته ، فنشبت بينهما أولى المعارك الأدبية في التجديد والتطوير .

وفي مجال الصحافة صدرت في سنة ١٣٥٠ هـ أول صحيفة أدبية في مكة باسم « صوت الحجاز » تولى تحريرها نخبة من الأدباء ، هم على التوالي : عبد الوهاب آشي ، محمد حسن عواد ، محمد حسن فقي ، أحمد ابراهيم الغزوي ، محمد سعيد العامودي ، محمد علي رضا ، أحمد قنديل ، محمد علي مغربي . وقد كانت هذه الصحيفة بداية عهد جديد للأدب في بلادنا ، حيث ظهر على مسرح الأدب نفر من الشباب الناهض ، نذكر منهم باستثناء من ذكرنا : حسين سرحان ، وحسين عرب ، وحسن كتيبي ، وحمد الجاسر ، وعبد الله عريف ، وأحمد السباعي ، وأحمد عبد الغفور عطار ، ومحمد حسين زيدان ، وعزيز ضياء ، وأحمد محمد جمال ، ومحمود عارف ، وعبد القدوس الانصاري وغيرهم من أدباء الرعيل الثاني الذين أدوا رسالة الأدب على أحسن وجه . كما برز على مسرح الأدب أدباء مخلصون كالزمخشري ، والقرشي ، والرفاعي ، وأبي مدين ، والفدعق ، وعلي حافظ ، وعبد العزيز الربيع ، ومحسن باروم ، وعبد الرحمن رفة ، ومحمد هاشم رشيد ، وحسن الصيرفي ، وأمين مدني ، وابراهيم فوده ، وغيرهم ممن لا أذكرهم الآن .

وقد ظلت جريدة صوت الحجاز تنشر نماذج الأدب ، من قصيدة ، ومقالة ، وبحث ، وقصة لعديد من الأدباء على اختلاف مستوياتهم . وقد كان من أثر هذه الجريدة أن دارت عدة معارك أدبية أذكر منها على سبيل المثال معركة

الغزاوي مع حسن كتيبي، ومعركة الفقي مع المغربي، ومعركة العطار مع السباعي، ومعارك العواد مع كل من ياسلامة والانصاري وحمره شحاته .

وبأني بعد ذلك دور التأليف وتنافس الكتاب والشعراء في إبراز الأدب السعودي وإصداره على النحو المرضي ، فعمل عدد كبير من الأدباء على إصدار مجاميع كبيرة من النظم والنثر حسب ميولهم واتجاهاتهم واختصاصاتهم في مجالات الفكر والأدب والحياة .

أما الشعر فقد كان أثره بالغاً إلى حد دل على أن مهد الشعر العربي ما زال معينه يتدفق بالمشاعر والأحاسيس والأفكار النيرة ، ولا أبالغ إن قلت أن دواوين الشعر قد تجاوزت العشرات . ومن بين الدواوين التي راجت هنا وهناك ، وكان لها أعمق الأثر في نفوس الأدباء والمفكرين . دواوين العواد ، والقنديل ، والقرشي ، والزمرخري . والعلاف ، وحسن فقي ، وحسن مريحان ، ومحمود عارف ، وباروم ، وأحمد جمال ، وسعد البواردي ، والصيرفي ، ومحمد هاشم رشيد ، والسنوسي ، وغيرهم من الشعراء .

المؤلفات التراثية فهي كثيرة إذا أحصينا المؤلفات مختلف مناطق المملكة . ولا سيما منطقة عسير وغيرها من مدن المملكة التي تعشقت الأدب .

وفي الرياض كانت الندوات الأدبية تعقد في الأندية ومجامع العلم والثقافة ، وقد كان الشعر الشعبي أول لون من ألوان الأدب يحفل به المجتمع ويوليّه أكبر اهتمامه ، حيث كان له أكبر الأثر في تحريك المشاعر . وقد كان الملوك من آل سعود يطربون لهذا اللون من الأدب ويستمعون إليه ، حتى إذا ما جدّ الجد ورفعت راية الحرب كان الشعر الشعبي مهمازا للجماهير يلهب عواطفهم ويستفز مشاعرهم .. وكان العلماء والأدباء والشعراء وفي مقدمتهم شاعر نجد محمد بن عبد الله بن عثيمين ، يتساجلون ببلغ الأشعار والحكم والروايات وأحداث مفاخر العرب ومآثرهم . أما نواة الأدب الحديث في الرياض فتتمثل في نخبة من الشباب الذين تخرجوا من مدرسة « دار التوحيد » بالطائف ، والمعهد العلمي السعودي في مكة المكرمة ، أمثال الأستاذة : حمد الجاسر ، وعبد الله الخيال ، وعبد الله الملحق ، وعبد الكريم الجهيمان .. ثم ظهرت نخبة أخرى ممتازة من الأدباء المرموقين ، أمثال الأستاذين عبد الله بن خميس وعبد الله بن إدريس . لقد كان لصحافة الرياض الممثلة في مجلتي

« الجزيرة » و « اليمامة » وصحيفة « القصيم » وغيرها من الصحف والمجلات أثرها البالغ في تطور الأدب وازدهاره . وكذلك في انجاب نخبة ممتازة من الأدباء المرموقين أمثال الأستاذة : سعد البواردي ،

وعمران محمد العمران ، والتويجري ، وغيرهم . وظهرت في السنوات الأخيرة في الرياض مؤلفات ضخمة ودواوين شعرية لعديد من الأدباء والشعراء ، نذكر منها « الأدب الشعبي في جزيرة العرب » لعبد الله بن خميس ، و « الشعر اليمامي » و « ابن مقرب » لعمران محمد العمران ، و « شعراء نجد المعاصرون » لعبد الله بن إدريس حيث جمع فيه نخبة ممتازة من الشعراء الموهوبين ، و « أغنية العودة » لسعد البواردي ، بالإضافة إلى مؤلفات حمد الجاسر التي تربو على عشرين مؤلفاً في العلم والأدب والتاريخ .

أما في الجنوب فقد كان نشوء الأدب طبيعياً نظراً لوجود عدد من الأدباء والشعراء هناك واتصال ذلك الجزء من البلاد بجنوبي الجزيرة . وقد برز في الجنوب الشاعر علي بن محمد السنوسي في جيزان ، الذي نظم كثيراً من الملاحم في مدح المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود .

منذ أكثر من عشرين عاماً برز على مسرح الأدب نفر من الأدباء أمثال محمد بن علي السنوسي ، ومحمد بن أحمد عيسى اللذين أصدرنا أول كتاب أطلق عليه اسم « شعراء الجنوب » ضم عدداً من الشعراء . ويمضي الزمن قليلاً فيبرز أديب وشاعر مرموق هو محمد ابن أحمد العقيلي الذي ملأ جوار الأدب شعوراً واحساساً بالحياة وقد اطلع هذا الأديب على ديوان الشاعر « القاسم بن علي بن هتميل » الذي علم منه أن لوطنه تراثاً أدبياً خالداً فدفعه ذلك إلى البحث والتنقيب للحصول على المصادر المخطوطة للمخلاف السليمان (منطقة جيزان حالياً) خاصة وجنوب الجزيرة عامة ، وقد انفق على تلك المصادر المخطوطة الشيء الكثير إلى أن اجتمع في مكتبته الخاصة ما يربو على أربعين مخطوطاً مما ساعده على دراسة تاريخ الأدب والبحث والتخصص فيه . وفي سنة ١٣٧٢ هـ بدأ بكتابة سلسلة من البحوث التاريخية والأدبية والجغرافية في مجلة « اليمامة » . ثم أصدر كتابه « المخلاف السليمانى أو الجنوب في التاريخ » . وهو مكون من جزئين . ومزود بالخراائط . كما صدر له ديوان « القاسم ابن علي بن هتميل » و « التصوف في تهامة » ، وديوان « السلطانين من شعراء القرن السادس الهجري » . وله بالإضافة إلى ذلك مؤلفات

أخرى بعضها تحت الطبع وبعضها قيد التأليف . أما الشاعر محمد بن علي السنوسي فقد أصدر حتى الآن ديوانين من الشعر هما : « القلائد » و « الأغاريد » ، إلى جانب مؤلفاته التي هي رهن الطبع ، ومنها « دراسات أدبية » و « رجال ومثل » .

أما في المنطقة الشرقية فكان الأدب ممثلاً في بعض الدور التي كانت تعنى بتدريس العلوم الدينية واللغوية ، ومنها دار « المبارك » ودار « آل عبد القادر » في الأحساء ، ودار « الخنيزي » ودار « الجشي » في القطيف . وبحكم واقع هذه الدور والمبدأ الذي كانت تسير عليه أخذ الأدب يشق طريقه بين طلاب المدارس والشداة الذين كانوا ينادون بالأدب من بلد إلى آخر . وما يذكر أن بلدة القطيف كانت سباقة في المجال الأدبي بحكم اتصال أبنائها بالعراق ، والنجف . وعلى هذا الاعتبار دب ديب الحياة الفكرية في المنطقة الشرقية ، وبرز على مسرح الأدب نفر من أبنائها ، نذكر منهم : عبد الحميد الخطي الذي يعد من الرواد الأوائل ، والمرحوم خالد الفرج الذي عني بالأدب عناية كبيرة والذي يعود إليه فضل تأسيس أول مطبعة في مدينة الدمام ، كما نذكر عبد رب الرسول الجشي ، ومحمد سعيد الشيخ علي الخنيزي وعبد الواحد الخنيزي .

وفضالك وثبة أخرى تماثل وثبة القطيف هي وثبة الأحساء ، وقد كان لها شأن فعال في دعم الحركة الأدبية والفكرية في المنطقة ، حيث استجاب لها نفر من الأدباء والشعراء ، في طليعتهم الشاعر أحمد الراشد المبارك . وقد كان للصحافة التي نشأت في منطقة الأحساء أثرها البالغ في نشوء الأدب وتطوره مما أثار إعجاب الناس واهتمامهم بالحركة الفكرية ورجالها الأفاضل الذين أسهموا في رفع مستوى الأدب ، من بينهم : عبد الرحمن العبيد الذي أصدر أول كتاب عن أدب الخليج العربي . كما برز في مدينة الدمام عدد من الأدباء الشباب نذكر منهم : عبد السلام العمري ، وعبد العزيز محمد القاضي ، وعبد الله بو سنيد وعبد الرحمن المنصور ، و خليل ولقمان يونس ، إبراهيم الفزيع ، وغيرهم .

ومن مطالعة المؤلفات التي أصدرها أدباء المنطقة يدرك القارئ أن في المنطقة الشرقية أدبا يسمو بسمو الشباب وينمو بتفتح الوعي وتفثق الأذهان ■

في سماء الغرور

« إِنَّكَ لَن تَخْثِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا »
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

للشاعرة جليدة رضا

فراش الروض : يا قلبي ، لماذا تنشد البحرا ؟
وتأمل أن تحلق في رحاب سمائه حرا ؟
تقول - « سئمت أزهارى وعفاف رحيقها ثغري
أزحف فوق عشب الروض والعيدان كالخشيره
وترضين الحياة هنا .. وكيف ؟ وفي دمي ثوره
وشوق عارم يسعى إلى الأفق والفجر .. ؟ »

فراش الروض ! لا تهرب إلى أفق بلا آخر
تحلق فيه مشدود الجناح وزائف .. حائرا
تجرجرك الريحاح الهوج في رحلتها الكبرى
ويعرّوك الدور هناك .. بين المد والجزر
وتخطك الصخور الصم حيث سواعد البعير
تضم إلى ضحاياها الكثر .. ضحية أخرى

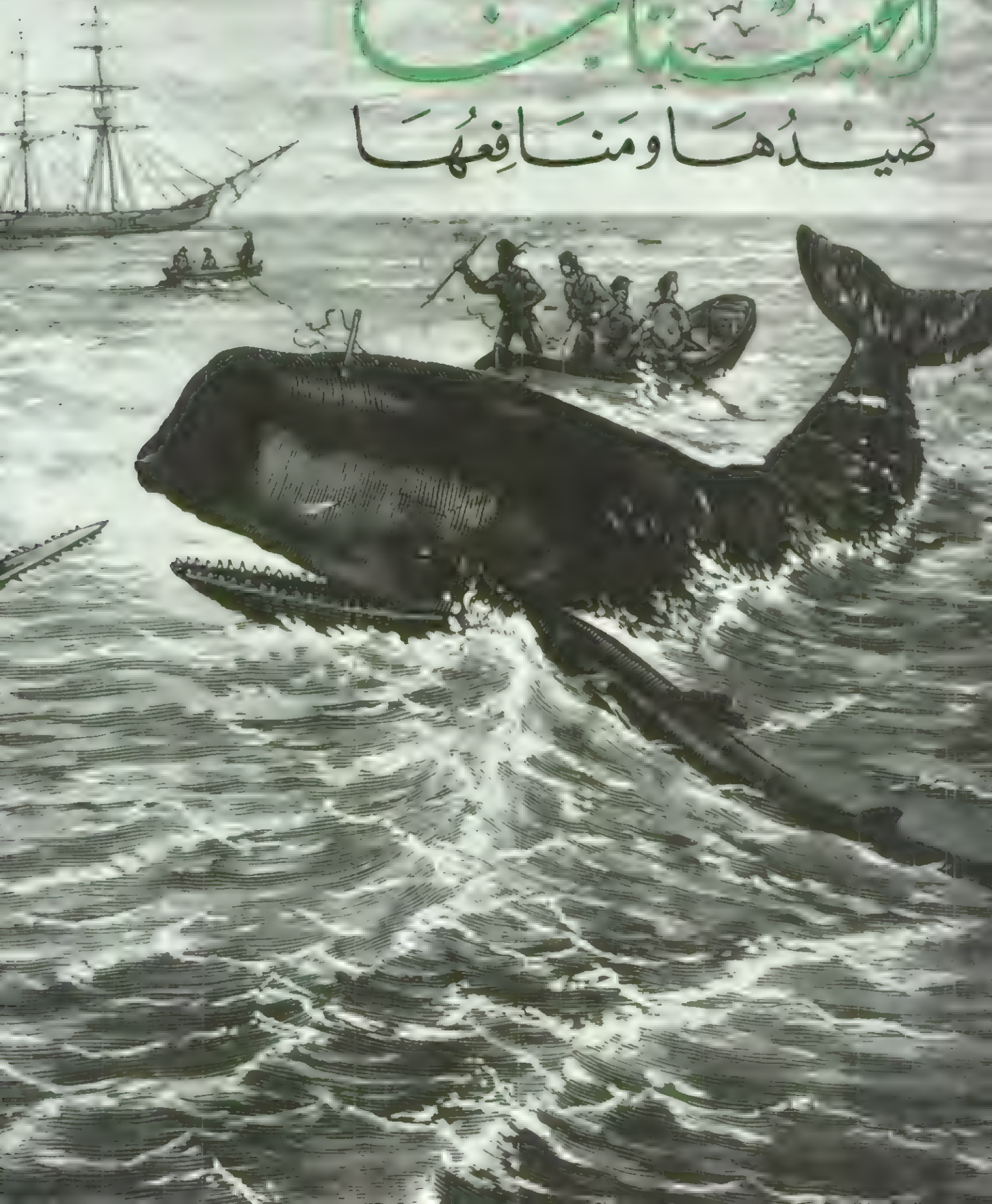
حبالك الروض بالود ولكن لم تصن وده
لمست عذوبة الأعماق تحنت غلائل الورده
ومن خصر النسيم درست رقص النور والأمم
وذقت الحبيب مسكّي الشذى في حزن ريحانه
وكم ضحكت لك المرأة حين علوت غدائنه
وطرت على جناح الشمس ترفل في سنا الليل

أتدري أن طير البحر لم يلم سلم من الغرق
وأن الفجر في أفق البحار بحمرة الشفق
وأن الزورق الضليل يبكي في أنى أرضه
فعد لي يا فراش القلب .. يا ذهبي وبلوري
ولا تجنح إلى الأخطاء في أوهام مغرور
ونقل خطوك المفهوف بين خمائل الروضه



الحيتان

حَيْدُهُمَا وَمَنَا فَعُهَا



محتوى

البحار تحت مياهها الدافئة وبين صخورها على ثروات حيوانية لا تحصى كالأسمك والمحار والمرجان والحيتان وغيرها . وقد ظل الانسان منذ القدم يستفيد من هذه الثروات كغذاء أو دواء أو حلية أو غير ذلك . وما الحيتان الا مصدر رزق بدأ الانسان يجري وراءه منذ أن عرف البحار ، لما لها من فوائد جمّة ، الا أنه ما لم يقيد استمرار صيد الحيتان بقوانين وأنظمة صارمة ، فانه يخشى أن تؤول الى الانقراض .

ومنذ أكثر من قرن مضى عرف الأمريكيون صيد الحيتان كضرب من المغامرة المحفوفة بالخطر ، وان كانت عظيمة الأرباح أحيانا . وكانوا يخرجون لصيدها في قوارب للتجديف ، ويستعملون رماحا معدنية دقيقة يضربون بها الحوت ، فيصدر عنه صوت هائل ، وقد يسحب القارب وراءه في معركة خطيرة تنتهي غالبا عندما يكف الحوت عن المقاومة ، بعد أن يكون قد نزف الأطنان من دمه ، فيطفو على السطح ميتا لا حراك فيه . وكان اصطياد الحوت في القرن التاسع عشر يرمي الى الحصول على شحمه الذي كان يستعمل في أغراض الاضاءة ، وعظام فكه التي كانت النساء يستعملنها كشدات . وقد صورت « موبى ديك » الحياة على متن سفن صيد الحيتان أحسن تصوير ، وهي رواية كتبها الروائي الأمريكي « هيرمان ملفيل » . ومع أن زيت شحم الحوت لم يعد يستعمل لأغراض الاضاءة ، ومع أن المشدات المصنوعة من عظم فكه الحوت غدت طرازا قديما غير مستعمل الآن الا أن صيد الحيتان لم ينته بعد ، ففي عام ١٩٦٦ اصطيده ٥١٦١٥ حوتا ، في حين بلغ عدد الحيتان التي اصطيدهت عام ١٨٦٨ ثلاثين حوتا فقط . الا أن اطراد ازدياد عدد الحيتان المصطادة في الولايات المتحدة لم يعد يلاحظ هذه الأيام بسبب قلة اهتمام الأمريكيين به ، لأنه لم يعد مغامرة تحف بها المخاطر ، كما كان .

مصادر

معرفة عدد الحيتان المصطادة سنويا من قائمة البلدان المشتركة في جمعية صيد الحيتان الدولية ، التي تضم استراليا ، وكندا ، والدنمارك ، وفرنسا ، وإيسلاندا ، واليابان ، والمكسيك ، وهولندا ، ونيوزيلاندا ، والنرويج ، وجنوب أفريقيا ، والمملكة المتحدة ، والاتحاد السوفيتي مع الأخذ بعين الاعتبار البون الشاسع بين ما هو عليه صيد الحيتان اليوم من تحسن في الوسائل وزيادة في العدد وبين ما كان عليه عام ١٨٦٨ . فقد ورد في احصائيات جمعية

صيد الحيتان الدولية انه اصطيده عام ١٨٦٨ ثلاثون حوتا فقط ، و ٧٠٩ في عام ١٨٨٨ ، و ٥٥٠٩ في عام ١٩٠٨ ، و ٢٣٥٩٣ حوتا في عام ١٩٢٨ . ويبلغ معدل الصيد حاليا على أساس التقيد بأنظمة الجمعية الدولية نحو ٥٠٠٠٠ حوت سنويا ، ويدل هذا بوضوح على نمو صيد الحيتان وتقدم أساليبه .

فوائد الحيتان

الحيتان حيوانات ثديية نشأت أول ما نشأت على اليابسة ، ثم هاجرت بعد ملايين السنين الى البحار . وهي تستنشق الهواء كل ١٥ دقيقة تقريبا . وتتعرض للغرق اذا ما غطست لمدة طويلة ، ولكنها تستطيع اذا ما جرحت أن تبقى تحت سطح الماء لمدة ساعة أو أكثر . وتحفظ الحيتان كغيرها من الحيوانات الثديية الأخرى بدرجة حرارة جسمها ثابتة ، كما تستطيع أنواعها التي تعيش في المياه القطبية الباردة أن تحمي نفسها من شدة البرد بواسطة طبقة كثيفة من الشحم تغطي جسمها . وشحم الحوت هو الذي يمكن الحيتان من الطفو على سطح الماء بسهولة ، لخفة وزنه بالمقارنة لوزن الماء ، والا صعب عليها ذلك لضخامة حجمها ونقل وزنها .

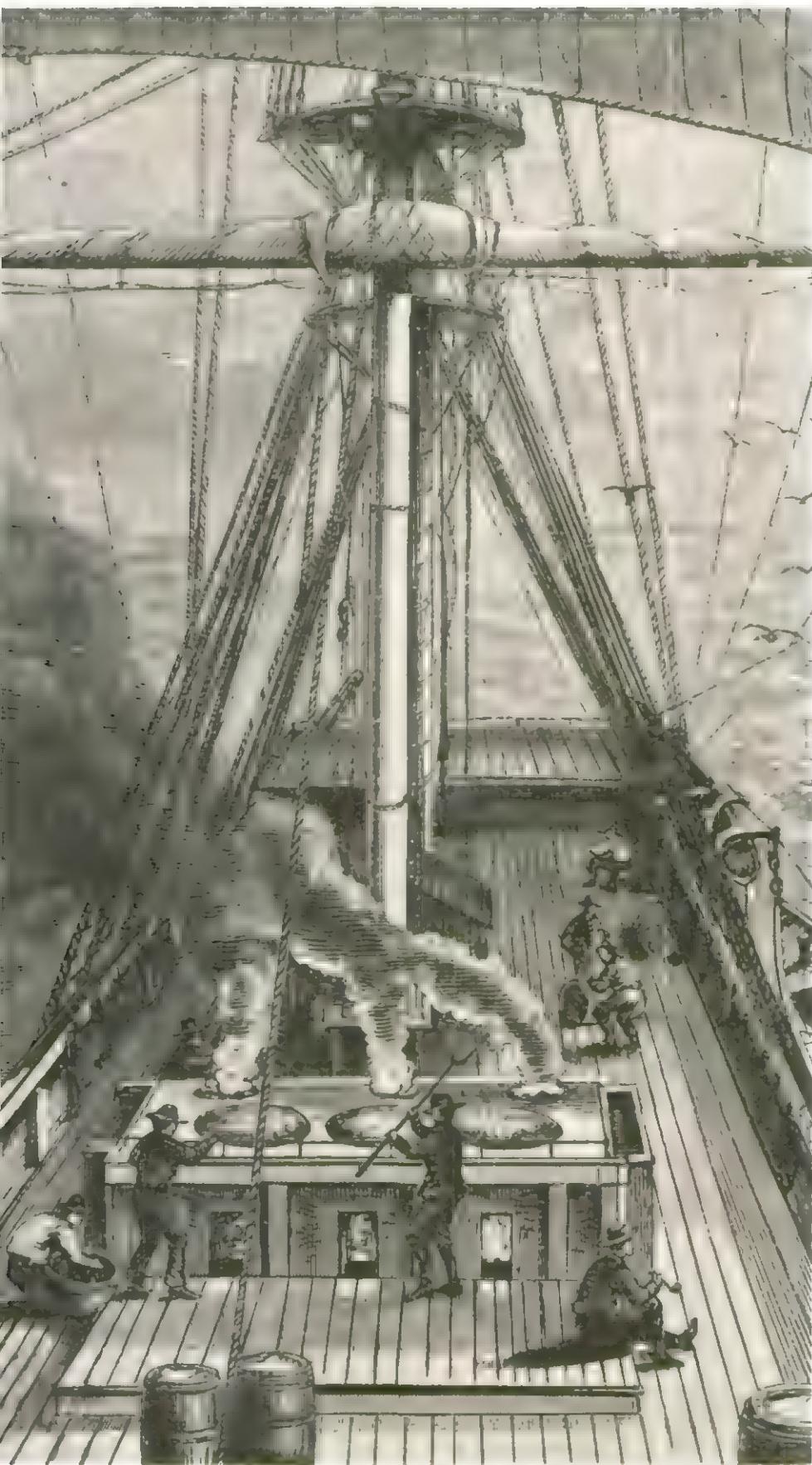
وتنقسم الحيتان الى فصيلتين : الأولى ، فصيلة الحيتان ذات الأسنان ، والأخرى فصيلة الحيتان البلينية ، وهي لا أسنان لها . وتشمل الفصيلة الأولى أنواع حوت العنبر ، وحوت « البلتوز » ، و « الكاشلوت » . أما الحيتان البلينية فهي حيتان ضخمة تحوي أفواهها طبقات ضخمة صلبة من العظام تنمو من سقف حلقها . وعلى الرغم من منظرها المرعب فانها لا تستطيع أن تلتهم أصناف السمك الكبيرة لخلو فمها من الأسنان ، وهي تعيش على الريان الطافي على سطح الماء ، فتملأ أفواهها بالماء ، ثم تضخه ، بعد أن تحتجز الريان في فمها .

والحيتان أضخم الحيوانات على الإطلاق . وأضخمها هو الحوت الأزرق ، الذي يكثر وجوده جنوبي المحيط الهادي . ويبلغ طول هذا النوع من الحيتان نحو ثلاثين متراً ، ويقدر وزنه بحوالي ١٢٥٠٠٠ كيلوغرام . فاذا علمنا أن معدل وزن الفيل ٥٠٠٠ كيلوغرام ، وأنه يعتقد أن أكبر ديناصور عاش على وجه الأرض كان يزن حوالي ١٧٥٠٠ كيلوغرام ، عرفنا مدى ضخامة هذه المخلوقات .

أما الحوت ذو الزعنفة فانه في المقام الثاني من حيث الضخامة والوزن ، اذ يبلغ طوله نحو ٢٥ متراً ، ووزنه نحو ٢٧٥٠٠ كيلوغرام .



حربة تنطلق من فوطة بنقنية خاصة وهي من الوسائل الحديثة المتبعة في صيد الحيتان .



أسلفنا أن الحوت كان يصطاد في مطلع هذا القرن للحصول على شحمه وعظم فكه ، غير أن بعض الحيتان ، كان بالإضافة الى ذلك مصدرا لمادة العنبر التي تدخل في صناعة العطور .

بيد أن ذلك تغير بمرور الزمن فأصبح عظم فك الحوت عديم النفع أما لحمه وشحمه وعظامه فيتم تجهيزها بعناية ، فاللحم يغلى ويحفظ ، أو يطحن مع العظم ليباع كمادة لعلف الطيور والدواجن . ويدخل زيت شحم الحوت في صنع المارجرين وبعض مركبات الأدوية والأسمدة . وقد استعمل زيت شحم الحوت خلال الحرب العالمية الثانية في صنع المتفجرات .

ولعل نقطة التحول في صيد الحيتان قد حدثت عام ١٨٦٨ عندما صنع أحد العلماء الترويجيين رمحا خاصا لصيد الحيتان يحمل قبلة في رأسه ، كما أن السفن البخارية والمعدات الكهربائية طورت عمليات صيد الحيتان وتصنيعها ، وأتمتها .

وتستخدم لصيد الحيتان هذه الأيام قوارب صغيرة تجهز ببنادق صيد قابلة للتوجيه ، كما تجهز بالرادار والراديو لتكون على اتصال بالسفينة الرئيسية ، وهي المصنع الذي يتم تصنيع الحيتان فيه . وكذلك تجهز بمضخات هوائية لنفخ الحيتان المصطادة بغية إبقائها طافية على سطح الماء الى جانب قوارب الصيد التي تجرها الى المصنع أو الى السفينة الرئيسية ، حيث يتم تصنيعها .

والسفينة المصنع ذات أرضية فسيحة تعادل مساحتها أحيانا ثلاث سفن كبيرة . ويخصص جزؤها السفلي لتخزين زيت شحم الحوت ، وقد يتسع لنحو ٢٠.٠٠٠ طن منه . وتضم مجموعة من الرافعات ، ومراجل لطبخ لحوم الحيتان ، ومطاحن لطحن لحوم الحيتان وعظامها ، ومعدات وأجهزة أخرى . ويعمل عليها عادة طاقم قد يزيد عدد أفرادها على ٧٠٠ . وهي تشبه محطات التصنيع الأرضية من حيث معداتها والعمليات التي تدور فيها .

ويستغرق تجهيز الحوت الواحد نحو أربعين دقيقة ، ويعتبر ذلك عملا سريعا اذا علمنا أن وزن فك الحوت الأزرق مثلا يبلغ نحو طنين ، ووزن عظم ظهره ١٠ أطنان وجميعته أربعة أطنان ونصف الطن . وكبده طنا واحدا . ويفرز من الدم ما وزنه ٨ أطنان . ويزن لحمه ٥٦ طنا . ولسانه ٣ أطنان ، وقلبه نصف طن ، بالإضافة الى أنه ينتج من الزيت ما رنته نحو ٢٦ ضا .

أحدى الطرق التقليدية التي كانت متبعة قديما لاستخلاص زيوت الحيتان لاستعمالها في أغراض عديدة .



رسم لأحد أنواع حوت العنبر أثناء قطره بعد عملية الصيد .



هيكل عظمي لأحد الحيتان من نوع « ذات الحى » معروض في « متحف مخلوقات المحيطات » في أمريكا .



كان الصيادون فيما مضى يلجأون الى استخدام الحراب اليدوية في عملية صيد الحيتان .

مجموعة من الحيتان الزمادية في ولاية كاليفورنيا تتقاذف مرحلة وسط الجليد .



وقد بلغ ثمن الحوت الواحد عام ١٩٥٥ حوالي ٥٠٠٠ دولار ، وقد تعود فرقة صيد واحدة بما قيمته ٦ ملايين دولار من منتجات الحيتان التي تصطادها .

جمعية تنظيم صيد الحيتان الدولية

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وعندما استؤنف صيد الحيتان بكميات كبيرة ، ظهرت الى حيز الوجود جمعية تعرف باسم « الجمعية الدولية لتنظيم صيد الحيتان » . وقد سنت هذه الجمعية أنظمة وقوانين تنظم صيد الحيتان بغية الحيلولة دون انقراضها ، نتيجة لتزايد عدد ما يصطاد منها . وتقوم هذه الجمعية بتحديد عدد الحيتان التي يمكن اصطيادها في كل موسم . كما تجري دراسات لمعرفة حجوم الحيتان من مختلف الفصائل والأنواع ، وظروف توالدها وهجرتها ، وحساب أعمارها . ويكون ذلك بادخال صفائح معدنية دقيقة في أجساد الحيتان الصغيرة تحمل المعلومات الضرورية ثم تجمع عند اصطيادها ، وتُقارن المعلومات الأولية بالمعلومات المتوفرة عند اصطيادها مما يتيح اجراء دراسة وافية عليها .



رسم آخر يمثل طريقة صيد حوت العنبر الذي يكثر وجوده في بحر الجنوب .

أنواع مختلفة من الحيتان يكثر وجودها في شمالي المحيط الأطلسي .



أن القليل من هذه الصفائح يعود الى الجمعية ، فقد غرست خلال الأعوام ١٩٥٣ - ١٩٦٣ صفائح من هذه في جسد ١٤٥٦ حوتا ، أعيد منها ٣٠٩ فقط .

وقد وضعت الجمعية الدولية أيضا حدا أدنى لطول الحوت الذي يمكن صيده ، فحددت ٤٠ قدما لحوت « السبي Sei » ، و ٣٨ قدما للعنبر ، و ٥٥ قدما للحوت ذي الزعنفة . كما تحدد هذه الجمعية بدء موسم صيد الحيتان ونهايته كل عام ، وعدد الحيتان التي يمكن صيدها من كل نوع . وتطلب التوقف عن صيد نوع ما من الحيتان عندما يبلغ عدد ما اصطيده منه الحد المعين . غير أنه لا يوجد هناك نظام يجبر أي دولة على الاشتراك في عضوية الجمعية الدولية لتنظيم صيد الحيتان ، أو حتى على تطبيق توصياتها واقتراحاتها . وعلى الرغم من أن عدد الحيتان في مختلف بحار العالم أخذ بالتقصان ، فإنه اصطيده خلال العام الماضي في منطقة القطب الجنوبي وحدها أكثر من ٢٠.٠٠٠ حوت ، كما اصطيده نحو ٣٠.٠٠٠ حوت في غيرها من المناطق ، الأمر الذي ينذر بوشوك انقراض أصناف كثيرة من الحيتان .

وقد قدر عدد الحيتان ذات الزعانف بحوالي ٣٧٧٠٠ حوت في عام ١٩٦٦ . ويتيح هذا العدد الفرصة لصيد ما معدله ٤٥٠٠ حوت من هذا الصنف سنويا ، والا فإنه قد يؤدي الى الانقراض . وبالإضافة الى ذلك فإن الحيتان الزرقاء آخذة بالانقراض هي الأخرى ، ففي حين بلغ عددها عام ١٩٣٨ نحو ١٠٠.٠٠٠ ، يقدر عددها اليوم بحوالي ٦٠٠ حوت فقط ، وهذا عدد ليس كافيا للحفاظ على هذا النوع من الانقراض . وتكاد الحيتان ذات الزعانف تتعرض للمصير ذاته ، إذ أن عددها يتناقص تدريجيا كل عام ، وقد قدر أن بحار العالم كانت تحوي نحو ١٧ ألف منها عام ١٩٦٥ في حين بلغ عددها نحو ١٢٠.٠٠٠ في أواخر الخمسينات .

إن الحوت مصدر لما لا يقل عن ١٠ أطنان من شرائح اللحم .. يستنتج من ذلك أنه بالامكان اعتبار الحيتان مصدرا هاما من مصادر البروتين التي يجب استغلالها والمحافظة عليها في عالم يشكو من نقصان مصادر الغذاء فيه ■

اعداد : عيسى مسلم

عن مجلة « ساينس دايجست »

نشرت هذه الصور باذن خاص من : « بتمان أرشيف » و « المتحف الأمريكي لتاريخ الطبيعي » .

اخلاق الفلاسفة

في سفس

ابن فارس

بقلم الدكتور أبو الوفا مصطفى المراغي

أي الفقر والفقر ، جمع فيه طائفة من أعلام العلماء الذين أدركتهم الفلاكة ، وكان منهم الامام أحمد بن فارس . وعقد الدلجي فصلا في سبب املاق العلماء في زمانه ، فقال : « ان الفلاكة والاهمال ألصق بأهل العلم وألزم لهم من غيرهم لأمر ، منها : أن الامارة عنهم بمعزل ، والتجارة مبنية على المحاحلة ، والصناعة تلزمها المعاناة . وأهل العلم لهم أنفة واستنكاف عن ذلك ، فيقعدون عن الاكتساب . »

ثم يسترسل في بيان العلل : « ولئن صحت بعض هذه الأسباب والعلل ، فان علة العلل في نظرنا أن سبب فقر العلماء ، فيما سلف ، وفيما هو واقع الآن أن العلم طريق طويل وسلوكه شاق محفوف بالمتاعب ، لا يستطيع المضي فيه والتغلب على ثمراته الا أولو العزائم القوية الذين أعدتهم ظروف الحياة وقسوة العيش لتحمل أعباء التعليم وآلامه ، وهم الفقراء في الغالب . أما أولئك الذين واثقهم الحياة الناعمة ونشأوا في أحضان البجوحة والعز والرفق والراحة والترف فقل أن تستمسك للعلوم قاماتهم أو ترتفع لها هاماتهم . وما لهم وللشقاء في التعليم ؟ فقد توافرت لهم أسباب اللهو ووسائل اللذة ، والنفوس أحرص على اقتناص اللذة المواتية من ترقب القرص للذة آجلة ، مهما كانت قيمتها وقدرها . »

كان ابن فارس شاعرا ، وله شعر كثير كما يقول مترجموه . ولكن ما وصل إلينا من شعره يكاد ينحصر في غرض واحد ، وهو الشكوى والعتاب على الدهر والأصحاب ، وهو فيما يبدو خلاصة لتجارب ومعاناة من أخلاق الناس وغير الزمان . ولقد كانت حياة ابن فارس عرضة لألوان من التجارب بحكم ظروفه ، وبحكم مهنته ، فقد كانت له تجارب مسع شيوخه ، وأخرى مع تلاميذه . وكان أدبيا وشاعرا وعالما ، وله تجارب مع منافسيه من العلماء والشعراء والأدباء ، ومع حاسديه .

ودعته ظروف الحياة الى الرحلة والتنقل في أقطار مختلفة ، ثم هو قبل ذلك كله انسان يعيش في مجتمعه الانساني ، وتحتم عليه حياته هذه أن يخالط الناس ويعاملهم ، مهما كان رأيه فيهم ، ورتبته بينهم .

ويبدو مما وصل إلينا من شعره أنه كان غير موفق في أكثر تجاربه ، ولم يكن مستريحا الى تلك التجارب ولا راضيا عن كثير من الناس . ومن تجاربه التي لم يحمدها من تلاميذه كعلم أنه كان يضيق بمن لا يأخذ التعليم مأخذ الجد

الأدبية والشعرية في ذهن ابن فارس ، بل توزعت نفسه الملكتان بنسب متفاوتة ، فكان له في ميدان الشعر والنثر مزاحمة ، يقول الشعر ويرق فيه حتى لينم شعره عن ظرفه وحسن تأنيه في الصنعة على طريق شعراء عصره ، الى جانب ما له من المؤلفات العلمية . والناحية الثانية ، أنه كان كريم النفس جوادا ، لا يكاد يرد سائلا حتى كان يهب بعض ثيابه وفرش بيته .

وهاتان الناحيتان نادرتان في كثير من العلماء ، فعهدنا بالعلماء أن الملكة العلمية تغلب الملكة الأدبية فيهم ، وعهدنا بأكثرهم الحرص على المال . ولعل ذلك لأنهم حصلوا عليه بعد أن ذاقوا من أجله مرارة الكد والتعب ، فكان مهره غاليا ، ومطلبه صعبا . ويضاف الى ذلك سبب آخر ، وهو أن كثيرا منهم قاسوا ألم الحرمان والخصاصة في بعض مراحل حياتهم . ولعل أدباء العربية يعرفون أن هناك مؤلفات خاصة صنت فيمن تنكر لهم الدهر وعيست لهم الأيام ، وأدركتهم حرقة الأدب كما يقولون ، وحرمتهم ما منحت غيرهم من خفض العيش ولين الحياة . فقد ألف الدلجي كتابا سماه « الفلاكة والمفلوكون »

من غرضي أن أؤرخ لابن فارس لعرف به ، أو أكشف عن فضله وقدره ، فقد أشبعه التاريخ تعريفا ، وكشفا ، وتقريظا ، ومدحا . فهو بين علماء العرب ، وخاصة علماء اللغة ، علم من الأعلام له بينهم مكان الصدارة دون منازع ، امتازت مؤلفاته في اللغة بالدقة والاتقان ، وطرافة الموضوعات . فهو صاحب كتاب « مقاييس اللغة » الذي لم يصنف مثله ، كما قال ياقوت ، وصاحب كتاب « فتيا فقيه العرب » وهو من أغرب الكتب .

وجمع ابن فارس الى العلم الغزير باللغة العلم بالفقه الشافعي حتى كان يناظر فيه . وجمع اتقان العلماء وظرف الكتاب ، والشعراء . ويكفيه فخرا في التاريخ العلمي ، ان من تلاميذه ابن العميد ، وان الصاحب ابن عباد كان يقول عنه : شيخنا ابن فارس .

واذا لم يكن من قصدنا التأريخ لابن فارس ، فان هناك ناحيتين هامتين لا ينبغي لمن يتحدث عنه أن يمر بهما دون أن يشير إليهما . احدهما أن الملكة العلمية والاشتغال بالعلم والتصنيف الى درجة التخصص والاتقان لم تطف على الملكة

من تلاميذه ، ومن يضايقه اختلاف الجو صيفا وشتاء وخريفا وربيعا ، ويزعم أن ذلك يعوق عن طلب العلم ويقف في طريق التحصيل ، فيقول مخاطبا هؤلاء :

إذا كنت تأذى بحر المصيف وكرب الخريف ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي متى ؟

ويغلب على الظن أن ابن فارس كان حاد المزاج ، وكان يكثر بعلمه ويباهي به العلماء ، وليس لحدة المزاج والمكاثرة من ثمار الا الحقد والكراهية . ذكر بعض مترجميه أنه كان اذا وجد فقيها أو متعلما أو نحويا يأمر أصحابه بسؤالهم اياه ، ويناطره في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه ، فان وجده بارعا جدلا جره في المجادلة الى اللغة ، فيغلبه بها . وكان يحث الفقهاء دائما على معرفة اللغة ، ويلقي عليهم مسائل ذكرها في كتابه « فنيا فقيه العرب » ويعجزهم بها ، ليكون عجزهم داعيا لهم الى حفظ اللغة ، ويقول : « من قصر علمه عن اللغة ، وغرط غلط » .

لا جرم أن ينبو بابن فارس مكانه في مجتمعه ، ويسوء ظنه بالناس ، وتقسو أحكامه عليهم ، ويؤثر العزلة ، ويصور الحياة بصورة قاتمة ليس فيها مجال لخير ولا أمل ، وأنها لا تسعف الانسان الا بالزور القليل ، واذا تحققت للمرء حاجة فاته حاج ، لذا فهو من الحياة في هموم متراكمة ، يعيش على أمل أن تنجلي وتزول . وما قاله في ذلك :

وقالوا كيف أنت فقلت خير
تفطى حاجة وتفوت حاج
إذا ازدحم هموم القلب قلنا

عسى يوما يكون لها انفراج
أخلاق الناس عند ابن فارس انهم عبيد المال ، والمال عندهم وسيلة الى كل مأمول ، ومفتاح لما أغلق من الأبواب ، والشفيع المشفع ، والسفير الناجح في الحاجات . وينصح أن تكون الأموال هي الرسل فيما يستصعب من المشكلات ، بل يرى أن وجود الأموال يخدم الأغراض وان لم تبدل من أجلها ، ويقول :

إذا كنت في حاجة مرسلا
وأنت بها كلف مغرم
فارسل حكيما ولا توصه
وذاك الحكيم هو الدرهم

ويقول :

يا ليت لي ألف دينار موجهة
وان حظي منها حظ فلاس
قالوا : فما لك منها قلت تخدمني

لها ومن أجلها الحمقى من الناس
ومن أخلاق الناس عند ابن فارس انهم غدر لا يفون بعهود ، وليس فيهم من يوثق به ، يقول :

اسمع مقالة ناصح
جمع النصيحة والمقة
اياك واحذر أن تبـ

ت من الثقات على ثقة
ويقول في صديق له ، رابه منه شيء فهجره ، فلما امتحن غيره عاد اليه :

عتبت عليه حين ساء صنيعه
وآليت لا أمسيت طوع يديه
فلما عبرت الناس خيبر مجرب

ولم أر خيرا منه عدت اليه
واذا كان المجتمع على هذه الحال والناس على هذا المنوال ، أثبرهم المال ، ومن خلافتهم الغدر والنكث ، كسدت تجارة الأدب ، في نظر ابن فارس ، ونزل قدر الادباء ، وصارت كل حرفة أجدى على صاحبها من حرفة الأدب ، يقول في هذا المعنى :

وصاحب لي أناسي يستشير وقد
أراد في جنبات الأرض مضطربا
فقلت مر أي شيء شئت واسع ورد

منه الموارد الا العلم والأدبا
واذا كان الناس كذلك وكان ابن فارس عاطلا من حلية المال وزينة الثراء ، فخبر له ولأمثاله العزلة عن الناس ، والافتتناس بما تيسر من وسائل الأئس ، سراج يضيء له أو كتاب يقرأ فيه ، أو قطة يلهو بها وينادها ، يقول :

نديمي هرني وسرور قلبي
دفاتر لي ومعشوقي السراج

كان ابن فارس ساخطا على المجتمع ممثلى النفس غيظا وحقدا ، حتى كان لا ينسى وهو في مقام الأئس والانبساط أن يردد مرارة العتاب وأنين الشكوى . يقول في إحدى غزلياته :

وأنت التي شيت قبل أوانه
شبابي سقى الغر الغواذي شبابك
تجنبت ما أوفى وعانيت ما كفى

ألم يأت سعدى أن تكفي عتابك
وكان ابن فارس يوسع الناس سخرية وذما ، يرضن عليهم بالتوقير والاحترام ، ويدعو عليهم

في أسلوب من يدعو لهم ، ويقول في بعض رحلاته من همدان ، حين لم يطب بها عيشه ، ولم يجد فيها خيرا مما وجده بغيرها :

سقى همدان الغيث لست بقائل
سوى ذا وفي الاحشاء نار تضرم

ومالي لا أصفي الدعاء لبلدة
أفدت بها نسيان ما كنت أعلم
نيت الذي أحسته غير أنني

مدين وما في جوف بيتي درهم
وبلغ من ابغاله في السخرية أن يسخر من النحويين ، وهو أحدهم بل رأس من رؤوسهم . يقول :

مرت بنا هيفاء مقدودة
تركية تنمي لتركي
ترنو بطرف فاتر فائن

أضعف من حجة نحوي
وقد انتهت به تجاربه ، وإخفاقه في مساه ، وسير الأمور على ما لا يحبه ولا يهواه الى أن يستسلم للأقدار ليتخلص من الحيرة في تعليل ما يرى من اختلاف الحظوظ وتفاوت الأرزاق في غير اتساق مع موازين العقول والافهام ، يقول :

تلبس لباس الرضا بالقضا
وخل الأمور لمن يملك
تقدر أنت وجاري القضا

ومما تقررده يضحك
تلك هي أحكام ابن فارس على أخلاق الناس ، مما وصل اليها من شعره ولم يصل اليها منه الا القليل ، كما أشرنا ، ولو وصلنا منه أكثر من ذلك لاستطعنا أن نقف على صورة كاملة لأخلاق الناس ، عند ابن فارس .

فابن فارس هذا هو أحمد

ابن حبيب أبو الحسين الزاري ، وقيل القزويني الزهراوي . واختلفوا في وطنه ، فقيل كان قزوين ، لأنه كان يتكلم بكلام القزاونة ، واستبعد ذلك بعض العلماء . وقيل كان من رستاق الزهراء من قرية « كرسف جيانانا » رحل الى قزوين ، ثم الى زنجان ، ثم الى قيانج ، واستوطن أخيرا بالري ، وتوفي بها سنة ٣٩٥ هـ . وذكر له صاحب معجم الأدباء ستة وعشرين مصنفا في مختلف فنون الشريعة واللغة والأدب .

وقد أنشد قبل وفاته بيومين هذين البيتين :
يا رب ان ذنوبي قد أحطت بها
علما وبني وباعلاني وأسراي
أنا الموحد لكنني المقرب بها
فهب ذنوبي لتوحيددي وإقراراي



الطائف

يا بقوتها معلقة فوق فحم الجبال

منذ القديم ورمات الطائف يتمتع بشهرة واسعة في شتى أنحاء المملكة .

بذكر ما في كتاب الحنفية من الامور التي هي في
نحو وجب لانها كانت من الامور التي هي في
نقصا احاطها بها في كتابها من الامور التي هي في
الانوار في الامور التي هي في الامور التي هي في
وهي من الامور التي هي في الامور التي هي في

هو ذا مطار الحوية .. مبنى صغير حديث منظم ، ومدرج معبد يمتد ويتمطى في أرض مستوية تحيط بها المرتفعات كالدلمج ، دون أن تختفها . ولعل هذا المطار من المطارات النادرة في الجزيرة العربية التي لا تعرف تكييف الهواء ، لذلك تشرع نوافذ مبناه الفسيحة عن عتبات لا تعدم أن ترى عليها « قُلل » الماء العذب تبردها السامم اللطاف فتحل محل الثلجات النافورية التي تعمل بالكهرباء في المطارات الأخرى . غير أن قاعة استراحة المطار وأقسامه كلها دائسة الحركة ، منظمة أبداً وإن كانت حركة الطائرات فيه محدودة شتاءً نشطة صفاً .

سيرة الأجرة قاصدا مدينة الطائف : الأرض من حول الطريق العريض المعبد امتداد منبسط تتخلله تلال متناثرة جبال ووديان وبساتين . في هذا الامتداد ، وقيل ظهور الاسلام بنحو قرن ازدهرت للعرب سوق حولية كانت من أشهر أسواقهم . انها سوق عكاظ أو « المجمع العربي العكاظي » كما يطيب لصاحب المنهل أن يسميها . نحن على بعد عشرين كيلومترا من الطائف ، والامتداد الفسيح والجو اللطيف يحركان في الخاطر صورة تضرع معها الأبعاد وتنكمش الحطب ، فيلوح من الشرق شيخ سمح يمتطي جملا أورق يحيط به جمع وقور : « حيث قس بن ساعدة ١ » وقس في شغل شاغل عن تحيتي ، تنهأى كلماته دررا صقيلة تنتظم عقودا ، والقوم من حوله تأمل وانصات واستيعاب . كان قس خطيب السوق المصقع ، شاهده الرسول عليه الصلاة والسلام خطيبا فيها ، فأعجبته حلاوة كلماته وطلاوتها ، حتى اذا أقبل عليه وقد اباد سألهم خبر قس بن ساعدة ، فقالوا له : مات يا رسول الله . فقال : « كأنني أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أورق ، وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة وما أجدني أحفظه . » فلما قام

عن الأصمعي انه قال : « دخلنا
الطائف ، فكأنني كنت أبشر ،
وكان قلبي ينضج بالسرور ، ولا أجد لذلك
سببا الا انفساح حدها وطيب نسمتها . » وعقب
أمير البيان ، شكيب أرسلان على ذلك بارتسام
لطيف خطر له وأثبت في كتابه « الارتسامات
الطائف » بقوله : « أما انفساح حدها فانها في
بسيط من الأرض أفج ، يسرح فيه النظر
ما شاء أن يسرح ، وحولها بعض جبال عالية
ترى من بعيد ، وأما ضيب ترى من قريب ،
وجميعها لا تغم الطائف في شيء ، وهي مع هذا
الانفساح والانفراج والاستواء في الأرض تعلو نحو
ألف وستمائة متر عن سطح البحر . وأما طيب
النسمة فانك تحس فيها من الانتعاش وسعة التنفس
ما لا تشعر به في مكان . »

وبين صورة للطائف مشرفة رسمها الأصمعي في القرن الثامن وأطرها أمير البيان في القرن العشرين وصورة أخرى لها يستشفها الرائي وهو يزورها لأول مرة تتواكب الارتسامات وتتوارد الخواطر وتتكرس الطائف في البال « قطعة من أرض الشام » زان الله بها أرض الحجاز فغدت قبلة المصطفائين من شتى أنحاء الجزيرة العربية .

قبل أن حطت الطائرة بنا في مطار « الحوية »
على بعد بضعة وعشرين كيلومترا من الطائف
لأحت لنا المدينة محاطة بالتلال ذات
القمم السوداء المسنونة . كانت السماء قبة زرقاء
صافية ، وكانت كل من خضرة داكنة تتخلل
بطون الأودية ، في حين لاح الطريق الحديث الذي
يصل الطائف بمكة المكرمة شريطا أزرق داكنا
يكبل أبراج الجبال بأطواق وأطواق .

كفت محركات الطائرة عن المدير ، وانفتح الباب المغلق ، وفتحنا الطائف طيب عودها ، نسائم باردة منعشة لطيفة .



أحدهم وتلاه بين يديه ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « يرحم الله قسا .. اني لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة واحدة ! »

ومن وراء إحدى التلال الصغيرة في تلك الرقعة المنبسطة يلوح هودج يتهدى يحمل ثاكلا أمت السوق لتسجل فيها أنها أعظم العربيات مصابا . اذ فقدت والدها عمرو بن الشريد ، وهو من سادة العرب ، وأخويها صخرا ومعاوية . تلكم هي الخنساء الشاعرة العربية الرثاء التي ظلت تغشى سوق عكاظ كل عام تندب أباه وأخويها :

قدى بعينك أم بالعين عوار
أم ذرفت أن خلت من أهلها الدار

كان عيني لذكره اذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرار

تبكي لصخر ، هي العبرى وقد وهت
ودونه من جديد الترب أستار

تبكي خناس ، فما تنفك ما عمرت
لها عليه رنين وهي مفتار

وأنا أستزيد ، وخناس تلبى ، وسادة القوم
ومثقفهم في عكاظ يتهايمسون « لها الله من تأكل ..
أو لن تكف عن رثائها ؟ » ، والخنساء الشاعرة
المتدفقة لا تكف ، بل لا تتي تقطع نياط القلوب
منذ عكاظ وحتى اليوم !

حقا ، كانت سوق عكاظ مجمعا عربيا
ثقافيا ، يلتقي فيها فحول الشعراء والخطباء في
مسابقات حولية ، جوائزها بقاء العمل الأدبي
وخلوده على مر الأيام ان أثبت جدارة ، أو
نسيانه ولفه في مطاوي العدم ان كان دون ذلك .

في كرومهم ، وأصحاب الفنادق والمرافق الاصطيفائية
في تحسين مراقبتهم ، وصخب الناشئة وهم
يذرعون الشوارع الى مدارسهم . ويرين الهدوء
وتخفت الحركة التجارية ، ويعود الى شوارعنا
صفاؤها ، ويخيل للرائي أن عدد سكان المدينة
قد تناقص الى الربع ، بيد أن الحياة النشطة
تعود تدب في المدينة مع مقدم الربيع ، حين
يحين موسم جمع الورود لتقطير العطور منها ،
وحين تبكر بعض مواسم الثمار .. وفي هذا
الفصل تلبس الطائف أجمل حللها فكأنها عروس
تجلى لا لتزف في ليلة قادمة ، ولكن في فصل
قادم .. هو فصل الصيف الذي ينتظره أبناء
الطائف فكأنما ينتظرون معه كل خير ، ومع
الوجوه الجديدة التي تؤم دنياهم ، كل
فرحة وبشر .

مدينتنا هذه ذات تاريخ حافل جاهلية
واسلاما ، وهي في عصرنا هذا عاصمة الدولة
الصيفية ، وقبله المصطافين من أبناء المناطق
الأخرى . لذلك ازدهرت فيها النهضة العمرانية
فأقيم نيف وعشرة فنادق والعديد من المطاعم
والمقاهي والمتنزهات يؤمها المصطافون ، فلا تكاد
تستوعبهم ، حتى ان الموسم الاصطيفائي في أوجه
يسم مدينتنا بطابع طارىء لا يلاحظ فيها على
مدار السنة بما فيه من صخب وازدحام .

— وكيف تكون الطائف في غير الموسم ؟
— بركة ألوان هادئة ، الا من انشغال المزارعين

ليل الطائف يؤنس الخلي والمشغول . والشوارع
الفسحة مضاءة ، وجدران القلاع القديمة كسفوح
الجرد تغتسل كل ليلة برذاذ الداراري والنجوم .
والليل في الطائف عالم الرجل . في كل ناحية من
نواحي المدينة تقوم عشرات المقاهي التي تغص
بالمصطافين . بعض المقاهي على بعد عشرة

المسجد الأثري الذي أقيم في بستان « عبة وشيبة » ابني
ربيعة ، حيث دعا الرسول عليه الصلاة والسلام ربه .





كيلومترات وبعضها أبعد . ومقاهي الطائف
الخلوية توائم ولا تكاد تختلف الا في مواقعها .
كلها تقدم الشاي صنوفاً وألواناً .. كلها تبرد الماء
بالقلل .. كلها تستحيل في الليل خانات تعطيك
المنام اللذيذ والهادئ بريال واحد فقط !

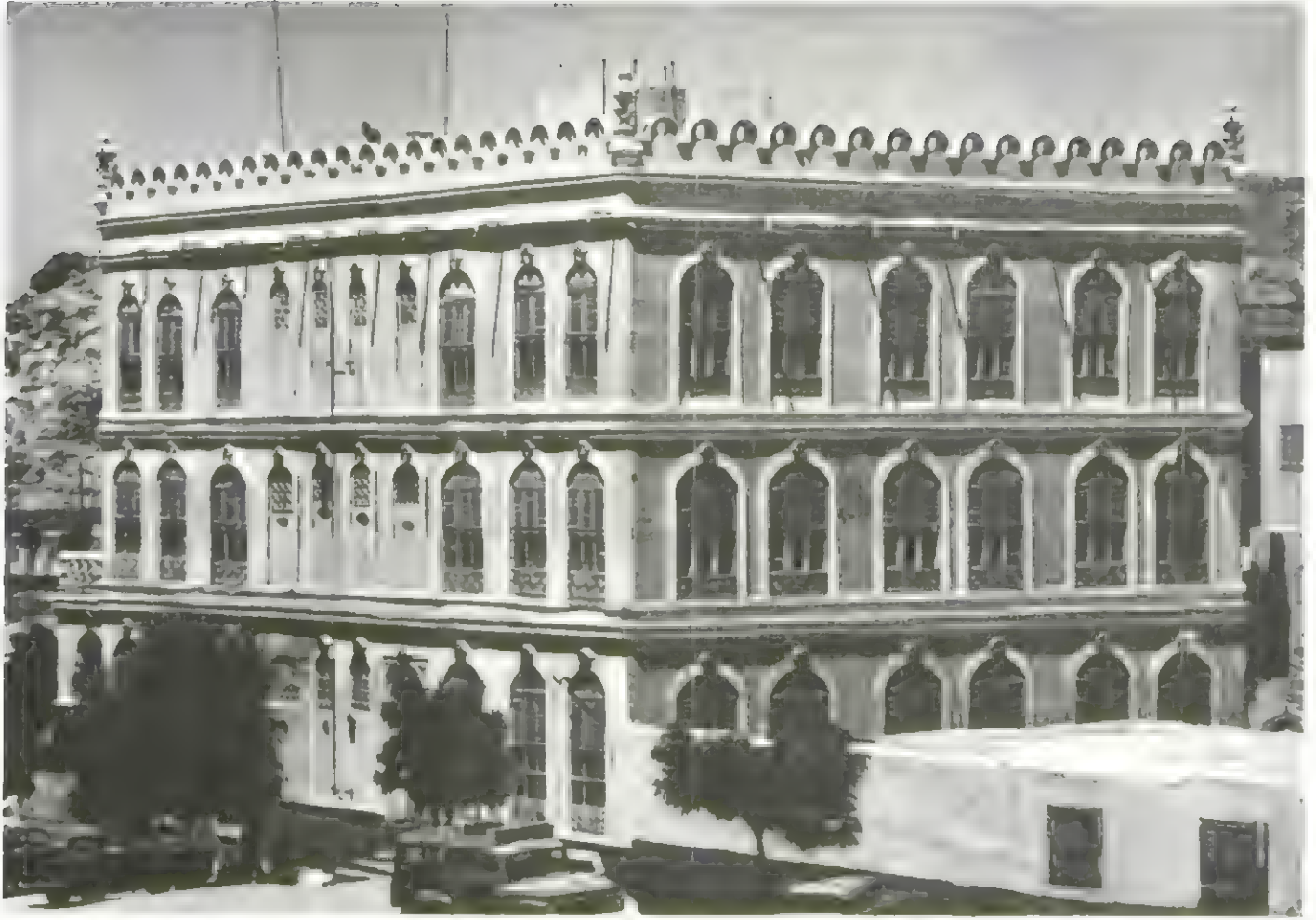
ب الحوية امتداد تملؤه الصخور
والأشجار الفارغة . ذاك الامتداد
منتجع لعائلات الطائف ، كأنما هو شاطيء
البحر في مدينة ساحلية . عند كل صخرة أو
تحت كل شجرة ترى سيارة أو خيمة ، وزوايد
تفتح ، وأفواها تلتهم ، وصغاراً يمرحون ويركضون ،
يكتبون على الرمل ، ويتزحلقون جماعات جماعات
على صخرة كبيرة منحدره يسمونها « الزحطة » .
ولا يكاد ذاك الامتداد يتسع لهم لما هو فيه من
حبور وانطلاق . بعيد المغرب فقط تتصل الحوية
بالطائف بخط من سيارات المتزهين في الخلاء
والعائدين الى بيوتهم . عندما كنت أتمشى وحيداً
ليلة وصولي الطائف في أحد الشوارع الجانبية ،
وكان الليل كأجمل ما يكون الليل برداً وسلاماً ،
وكان القمر كأبدع ما يكون القمر رونقاً وصفاءً
وجدتني أستعيد قول الصديق الشاعر حسن القرشي :

طب العليل وبهجة المصطاف
وروى الربيع ونزهة الوصاف
واذا أغن سرى النسيم بأرضه
متفرق بندى النمر الصافي
تشدو العنادل فيه ألحان المنى
فتثير من شجن المشوق الغافي
وتقبض من نغماتها خطراته

فتشع بالبسمات والألطف
وحنقت على الشاعر الصديق ، لأن ليل الطائف
أجمل من نهاره وأمتع وأروع ، وما كان له
أن يفوت ذكره في عاطر شعره عنها .
للليل في الطائف رائحة لذيذة منعشة ، تشتمها
فتظل تستنشقها مزيجاً من عرار وياسمين وورد
وفل ، حتى تنتشي بها . والليل في الطائف ليل
طاهر ورع ، تضي عليه مكبرات مآذن المساجد
عندما ينطلق منها أذان العشاء أو تسايح الفجر
مسحة تهجد صادق .

بين رشقات من فناجين القهوة العربية وأكواب
الشاي تحدث سمو الأمير ناصر بن معمر أمير
الطائف عن العديد من الانجازات التي تيسر
لمدينة الطائف أن تحققها في الأعوام القليلة الماضية
يساق الدليل اثر الدليل على أن المعركة القائمة
في الطائف بين القديم والحديث غير متكافئة ،

« الرواشن » الخشبية من ميزات فن البناء القديم في الطائف ، كما هو في غيرها من مدن المنطقة الغربية .



قصر «شبرا» بالطائف ، من أهم المعالم العمرانية في المدينة .

غصن سفرجل يتوه بحمله في أحد بساتين الطائف .

لأن الحديث في الطائف متغلب والقديم فيها مغلوب لا محالة .

فبين أحياء المدينة السكنية تسمق أحياء الخالدية وشهار السلامة « بفلها » الحديثة وشوارعها الفسيحة على غيرها من الأحياء القديمة المزدحمة بكتل البيوت. وفي المنطقة التجارية من المدينة ترتفع العمارات الحديثة الى عدة أدوار ، فتضائل الى جانبها العمارات القديمة برواشنها الخشبية التي تلفت الأنظار بدقة زخرفها ، وبألوانها المتعددة .

وفي مجال التعليم حلت محل الكتاتيب التقليدية التي أسسها كل من الشيخ عبد الرحمن مغربي والشيخ عبد الرحمن بن ظفران والشيخ عبد الله سندي والشيخ حسن منصوري والشيخ محمد سناري والفقيهة زهرا بنت ريماء المغربية والسيدة حسينة حبيب ، مدارس حديثة ، أقدمها المدرسة السعودية التي تأسست عام ١٣٤٥هـ والتي تعتبر امتدادا للمدرسة الرشدية في العهد





يضم سوق الأدوات المنزلية في الطائف عشرات الدكاكين المملئة بالبضائع ، كهذه الدكان .



حصة في « علم الحيوان » .. حيث يصفي الطلاب لشرح استاذهم في مختبر إحدى المدارس المتوسطة في الطائف .

التركي . بالإضافة الى سبع مدارس أخرى ما بين ابتدائية ومتوسطة وثانوية يؤمها جميعا نحو ٥٠٠٠ طالب . وأنشئت أيضا تسع مدارس ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة ، ومعهد لاعداد المعلمات يؤمها جميعا نحو ٥٠٠٠ طالبة .

وفي مجال الخدمات الصحية يرفع الحديث أعلامه ، فمستشفى الملك فيصل في قلب الطائف ، وهو المستشفى المركزي للمنطقة . حديث في مبناه وفي معداته . ويبلغ عدد الأطباء العاملين فيه نحو ٤٥ طبيا وطبية وأكثر من ١٠٠ ممرض وممرضة ، وفيه حوالي ٤٥٠ سريرا . أما مستشفى الأمراض الصدرية (مصبح السداد) فيكاد يكون المستشفى الوحيد من نوعه في المملكة ، وقد كان لاختيار الطائف بهوائها العليل وجوها اللطيف موقعا له عين الحكمة ، وفيه ثمانمائة سرير للعزل والمعالجة . وفي الطائف أيضا مستشفى ضخم للأمراض العصبية والنفسية يضم نحو ألف سرير . وتبدو معركة الحديث والقديم في مجالات الري والزراعة أوضح منها في بقية مجالات الحياة في مدينة الطائف ، وأشد وطبا . فقديما بنى عمرو بن العاص في منطقة الطائف سد « ثمالة » بجدران عريضة يمكن للسيارة أن تسير فوقها ، وبنى عبد الله بن معاوية سد « سبسد » عام ٥٣١ هـ . وفي القرن السابع الهجري بني سد « ثلبة » ، وهناك سد قديم لم يعرف تاريخ بنائه هو سد « الرحاب » ، بيد أن هذه السدود كلها غدت أثرية مهجورة ، وتضاءلت قيمتها لقدمها ، فحل محلها سد « عكرمة » الذي أنشأته وزارة الزراعة عام ١٣٧٥ هـ لتغذية عين الطائف وآبارها بالماء ، ولري الأراضي المجاورة .

وفي حين لا يزال ماء السقيا في الطائف يجري من منابعه في « الدبل » ليمتعه السقاؤون في دلائهم قمتلا به سيارات الصهاريج ويوزع على البيوت والمؤسسات ، يجري العمل على قدم وساق لبناء خزانات ضخمة للمياه وإنشاء شبكات حديثة للأنابيب توفر للطائف ماء أنقى وأغزر . ولعل عين العزيزية والمنشأة والوهط والوهيط هي أهم منابع الماء التي تزود منها مدينة الطائف . ومنذ فجر الاسلام عرفت الطائف بشمارها حتى ان أصنافا معينة من الفاكهة أصبحت تذكر مقرونة بها ، فيقال مثلا عنب طائفي ، ورماني طائفي . وبالإضافة الى العنب والرماني اشتهرت الطائف ، وما تزال ، بانتاج التفاح البلدي ، والخوخ ، والمشمش ، والبرقوق ، والعتاب ، والتين ، والكمثرى ، واللوز ، والتين .

في جهلها وجاهليتها ، ولم ترحب بالنبي المنقذ
ولم تسمع اليه ، بل أوعزت الى سفهاها فرجموه
بالحجارة ورشقوه بالسباب ومقذع الألقاب .
ويلجأ الى البستان لينفض عنه كل ذلك ، ويرفع
يديه ضارعا الى السماء :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة
حيلتي وهواني على الناس .
يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ،
وأنت ربي .

الى من تكلمي ؟ الى عبد يتجهمني أو الى
عدو ملكه امري ؟

ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ..
أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات
وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي
غضبك ، أو تحل علي سخطك .

لك العبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة
الا بك .

ويسمعه عتبة وشيبة ، صاحبا البستان ،
فيشفقان عليه ويرسلان غلامهما «عداسا
النصراني» اليه بعنب فيضعه عليه الصلاة
والسلام في كفه ، ويقول : «بسم الله الرحمن

والرحمات ، وغير ذلك من آلات الرش والمبيدات .
وأشهر مناطق الطائف الزراعية وادي «لية»
حيث تكثر زراعة الرمان ، و«لقيم» حيث
كروم الكرمة ، و«المنثاة» حيث بساتين الخوخ
والشمش ، و«جبال الشفا» ، و«الهدى»
حيث يتكاثر التين الشوكي والتفاح والورد الذي
تستقطر منه خلاصة عطر الورد الثمين ، بالإضافة
الى ثانيا التلال الصغرى وبطون الأودية المنثارة
في طول المنطقة وعرضها .

ومن المشاريع التي يجري العمل فيها وتهدف
الى تجميل الطائف اقامة حديقة عامة كبرى
في قلب المدينة وتزيين ميادينها بالنوافير .

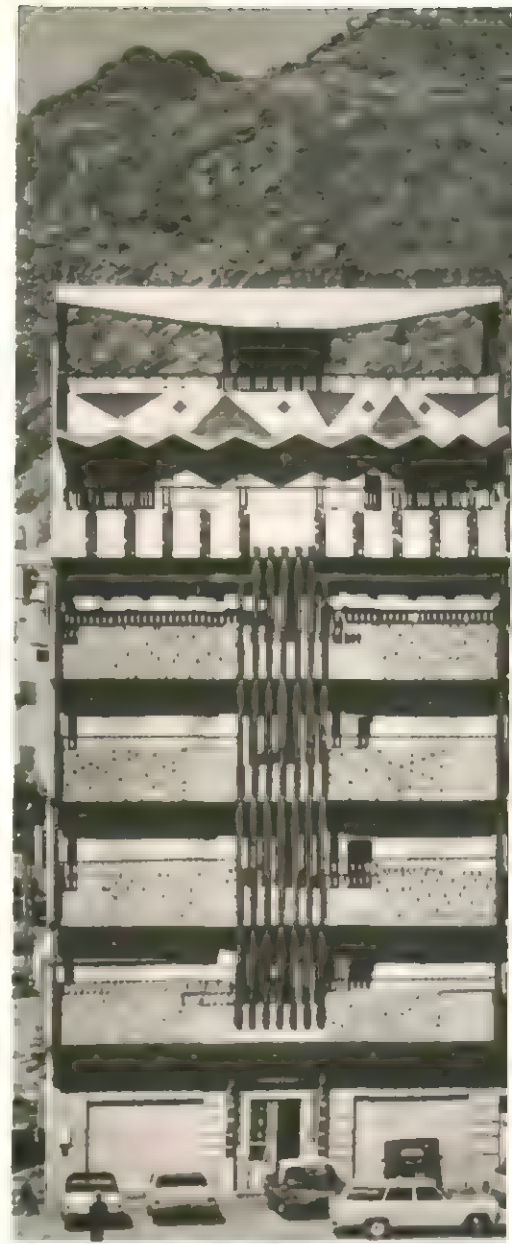
والقديم في كل مكان وان تراجع وتضاءل يندر
أن ينسى .. وتلك سنة التاريخ ! وها هوذا
بستان «عتبة» ، و«شبية» ابني ربيعة دانية
قطوفه وارقة ظلاله ، وها هوذا الأمين ، محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ظلة كرمة
في البستان يستريح بعد عناء وجهد ، ماشيا
على قدميه أم «القرية الأخرى» وحيدا بين
الفاوز والمخاطر وعراقيب الجبال ليبلغ الأمانة
ثقيفا . ولكن ثقيفا عمي قلبها ، فبقيت سادرة

الشوكي (البرشومي) ، والحمضيات ، كما
اشتهرت بزراعة العديد من أنواع الخضار
الصفية والثتوية ، وبعض أنواع الحبوب
كالحنطة ، والشعير ، والذرة والسسم .

وقفة الوحدة الزراعية في الطائف بأقسام
الارشاد الزراعي ، والانتاجي ،
والوقاية ، والبيطرة ، والمياه ، والهيدرولوجيا ،
والغابات ، والمراعي ، بتعريف المزارع بأحدث
أساليب استصلاح الأرض ، وزراعتها ، ووقاية
المحصولات ، وجمعها ، وتطويرها ، وتحسين
الأصناف المزروعة ، وتشجيع المزارعين على اقتناء
الأبقار والدجاج والطيور والنحل ، وإرشادهم الى
تحسين نسلها والأساليب الحديثة في تربيتها .
كما انها تسهر على غابات الشفا وغيرها . وتحول
دون قطع أشجارها ، بل تشجع المزارعين على
التشجير ، وتمدهم بالفاسائل اللازمة لذلك .
أما وسائل الفلاحة القديمة ، كمتح الماء بواسطة
النواير ذات المراوح الهوائية ، والمحارث التي
تجرها الدواب والفواريع والمساحي ، فقد غدت
من مخلفات الماضي ، وحلت محلها مضخات
المياه الحديثة ، والجرارات الآلية ، والحصادات ،

حديث شيق ، و «نارجيلة» مجلوة وجلسة
تقليدية يديرها الشيخ عبد القادر ادريس صاحب
فندق «المزينة» بالطائف .

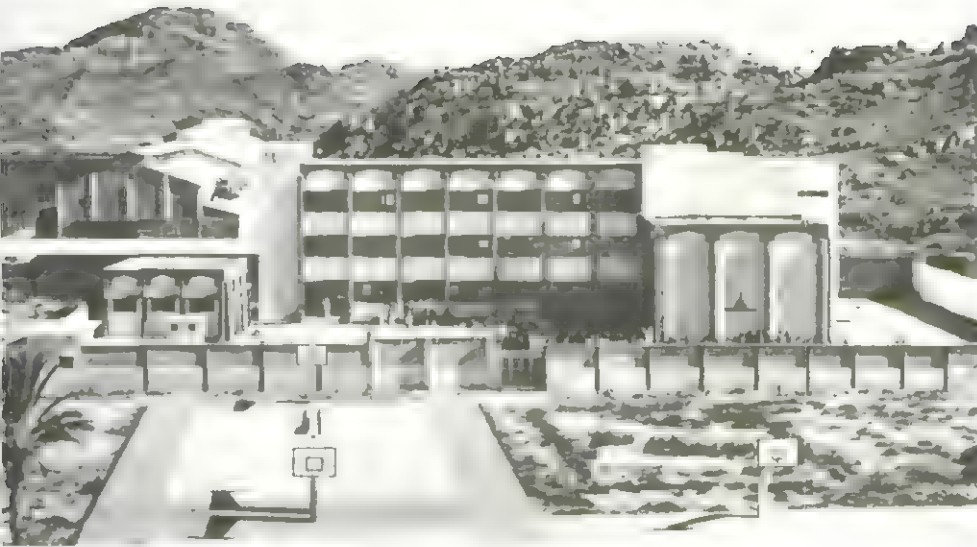




الأيدي اللطيفة في مستشفى الملك فيصل بالطائف تتفقد خيمة الأكسيجين التي وضع فيها هذا الطفل المولود حديثا .
مزرعة حديثة لتربية الدواجن في مشارف الطائف .

أحدى العمارات الحديثة في الطائف وقد غلب عليها طابع الزخرف وتعدد الألوان .





مجمع المدارس الحديث البهاء ، ويقع في قلب مدينة الطائف .

العب والزمن والسفرجل من أشهر فواكه الطائف التي تمنح بها الذك كبن المنتشرة في المصيف الجميل .



الرحيم » ويفغر عداس فاه دهشة ويتمم : هذا كلام لا يقوله أهل هذه البلاد ! ويسأله الرسول عن دينه وبلده : فيجيبه انه نصراني من نينوى . فيقول الرسول : « أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ » فتزداد دهشة عداس ويقول : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فيقول : « ذاك أخي .. كان نبيا وأنا نبي . » فيكب الغلام على رأس الرسول عليه السلام يقبله وعلى يديه يلثمهما بين دهشة صاحبي البستان وعجبهما الشديد . ويقضي الرسول عليه الصلاة والسلام : ويقضي عداس وعتبة وشيبة ، ويؤول البستان اليوم الى الشيخ عبد الله الحسين ، ويخلد الحدث التاريخي مسجد صغير أقيم حيث دعا الرسول عليه الصلاة والسلام ربه .

يبلغ عدد سكان الطائف نحو ١٠٠٠٠٠ نسمة يتوزعون على خمسة عشر حيا سكنيا ، منها ما هو حديث في تخطيطه وفي هندسة بيوته وتنسيق جئاته ، ومنها ما هو قديم يعود الى العهد العثماني . وهذه الأحياء هي : فوق ، وأسفل ، والسليمانية ، والعقيق ، والعزيزية ، ومعشى ، وشبرا ، والفصيلية ، والمخالدبية ، وقروى ، والسلامة ، واليمانية ، والشهداء ، والشرقية ، وشهار . ويضم كل حي من أحياء الطائف السكنية مسجدا أو أكثر .

وابن الطائف متأثر على عمله جاد في تحصيل قوته وقوت عياله . وأيا كان سبيل تحصيل الرزق فانه يؤمن بأن البركة في البكور ، فتراه يسمى في سبيله مع تباشير الفجر . فهو في الحقل يقطع الثمار ، او يحرق الأرض الطيبة أو يزرعها ، وفي المتجر يعرض بضاعته ، وفي مكتبه أو مدرسته يؤدي عمله يومي ، وفي مشغله يكب على اداء حرفته ، وهو في الشارع بائع متجول يدفع عربته محملة بما يأتي به الصباح من نتاج الحقول والبساتين ، أو مما يحضره من مأكولات الصباح الشهية من « تيمس » و « مدمس » و « زلاية » وغير ذلك . وهو مع ذلك كله لا يزال يتمتع بنقاء العربي وصفاته ودمائه ، لم تخلف روح العصر المادية بصمات ظاهرة في تفكيره أو مسلكه بعد ، لذلك تراه اجتماعيا الى أبعد حد . وفي الأفراح يتحلق الرجال حول أكاليل المصابيح الكهربائية الملونة يحمل الواحد منهم دفا صغيرا ويحمل بعضهم السيوف ، وعلى

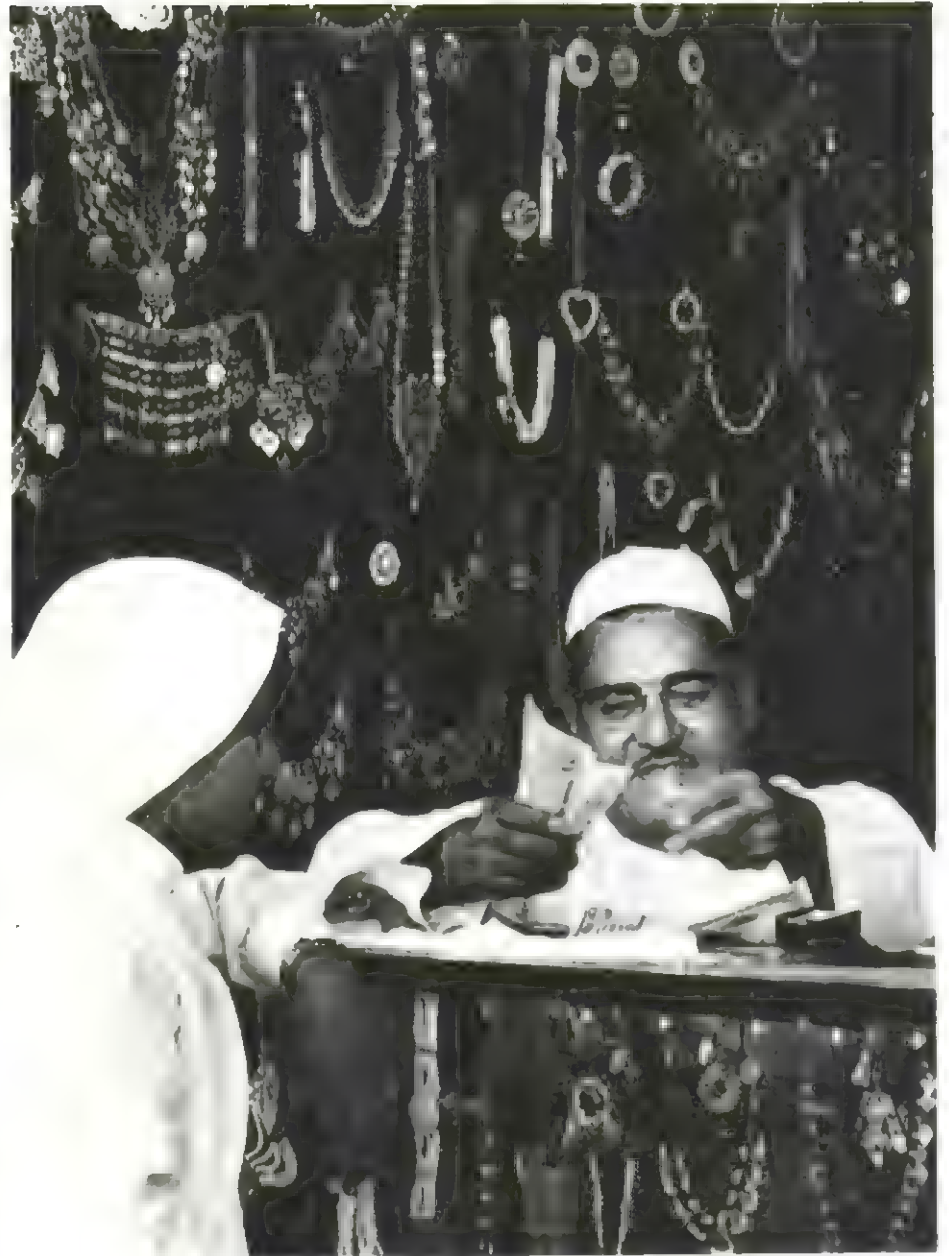
مداعبا . قال لي : « ذاك مزارع يجمع الرمان من بستانه مجانا .. أما أنا فأشتريه ويجب أن أربح عندما أبيع » . وأسكنني التاجر الصغير ! في المساء في مصايف الهدى والشفاء وهضاب القديرة ، يتجمع الصغار عند خيام ذويهم من المصطافين يلهون ويلعبون دون كلال أو ملل . وتبدو في عيونهم علامات البراءة والذكاء وحب الاستطلاع . لم يكونوا ليدعوا مصور القافلة دون أن يأخذ لهم بعض الصور : - « جم » .. صورنا ! « جم صورنا » ولم يكن خليل أبو النصر ليدعى « جما » لولا قبعته الغريبة الشكل ! كانوا يعتقدون أنه لا يفهم لغوهم ، وعندما استجاب لهم وتكلم معهم بلهجتهم وعرفهم باسمه كانوا مبتهجين لذلك . غير أنهم لم يريدوا لارتسامهم الأول عنه أن يخيب . وبالنسبة اليهم .. فانه ما دام يضع تلك القبعة على رأسه فهو « جم » ، لذلك عندما اتجهنا الى السيارة عائدین كانوا يودعونه جذلين : « مع السلامة .. جم ! » في حين راح يلوح لهم بقبعته تلك !

في الطائف يظل الغريب منشدها الى الأشياء من حوله : قصر شبرا الجميل النسق والبناء ، القلعة العثمانية ، الطبيعة الجميلة المشرقة ، الهواء المنعش العليل ، مسجد بن العباس ، السوق القديم بأزقة الضيقة المظلمة ، سوق الحطب ، سوق الخضار والفواكه ، سوق اللوريات ، مجمع المدارس الحديث . مستشفى الملك الضخم ، عشرات المقاهي تنتظم على طول أحد الشوارع وتغص بالزوار المصطافين في المساء ، باعة البرشومي والرمان والعنب يدلون على بضاعتهم الشهية الطازجة بأسعار زهيدة ..

يبد أن الطائف الجميلة الصافية صيفا المائدة الساكنة بقية الفصول ، مصيف المملكة الأول ومتنوع وجهاتها ورجال أعمالها وأدبائها ومتفقيها . عروس البادية السارحة بين التلال والأودية ، وإن نالها كثير من التطوير والاصلاح الا أنها لا تزال تنتظر المزيد منه لتلحق بركب منتجعات الاصطياف الأخرى في العالم العربي بل ولتتعداها . لأنها تمتلك كل ما يؤهلها لذلك : الماء ، والخضراء ، والهواء العليل ، والطبيعة الفاتنة بجبالها الشامخة ووديانها الغائرة .. ببساتينها وكرمها وحقولها وغاباتها ، والآثار التاريخية فيها ■

خليل أبو النصر

تصوير : خليل أبو النصر



في سوق الصياغة تزدهم واجهات الحوانيت ونزائنها بنفيس الحلي وغالي الجواهر .

لذيذة . أما مائدته فمتنوعة ، وإن حفلت بأطباق « الندى » أو « السليق » أو « الملة » ، وما عدا ذلك فهي تلتقي مع المائدة العربية عامة بشتى أطباقها وأصنافها .

أطفال الطائف رائعون . في الصيف يشاركون بجمع الثمار و « يتاجر » بعضهم بما يحلوه من حاجات .. باعني أحدهم جتي رمان بريال في حين كان بائع محترف الى جانبه يبيع الرمان نفسه بنصف الثمن . كان في منتهى اللباقة عندما عدت اليه ألفت نظره الى ذلك

إيقاع الطبول ، يرقصون في زهو وفرح والجمع من حوهم يرددون الأهازيج والغناء ، لا يكاد معها الزائر ينسى رقصة « المجرور » الطائفية . وابن الطائف مولع ببلده متيم بها ، وما أسرع ما يجعل من نفسه دليلا سياحيا لك دون ان يطمع منك بشيء .

وشراب ابن الطائف المفضل الشاي ، ويتفنون هناك في اعداده ، فهو أخضر وأحمر وأصفر .. وهو مطيب بالورد ، أو النعناع ، أو الريحان ، أو الدوش ، أو العطرة ، أو اللوزة لتكسبه نكهة

مِسْرَة أزوجهما؟

بقلم الأستاذ يحيى باجنيد

في مدينة « مرو » رجل يدعى
« نوح بن مريم » هو قاضي البلد
ورئيسها ، وكانت له ابنة رائعة الجمال ، كريمة
النفس ، حسنة الأدب .. تقدم لخطبتها وجهاء
البلد وأصحاب الثراء ، فلم يوافق على تزويجها
أيا منهم . وكان له غلام هندي يدعى « مبارك »
عهد إليه أمر العناية ببستانه .
وذات يوم دخل على « نوح » ثلاثة رجال ،
فرحب بهم ، وأفسح لهم مكان الصدارة فسي
مجلسه : وبادره أحدهم ويسمى أبو سعيد قائلاً :
لقد أتيناك في أمر .
نوح : لن أسمع منكم حتى نأكل الطعام !
يا مبارك .. يا مبارك ..
(يتقدم الغلام في أدب) .
مبارك : أمر مولاي .
نوح : آتينا بالقهوة والتمر .
مبارك : أمر مولاي
(يخرج الغلام ، ويجيء بالقهوة والتمر ،
فيتناول كل نصيبه) .
أبو سعيد : الآن وبعد أن أكرمنا أيها القاضي ،
اسمح لنا أن نعرض عليكم ما جئناك
من أجله ..
نوح : قل ما تشاء يا أبا سعيد فكلني آذان
صاغية .
أبو سعيد : أنت تعرف سليمان بن عامر ؟
نوح : أجل .. ومن لا يعرفه ؟ وجهه في
قومه ، ومن أصحاب الثراء واليسر .
أبو سعيد : هو كما قلت .. وقد أوفدنا اليك لننقل
رغبته في التقرب من القاضي ، طالبا
يد المصونة ابنته .
(وأطرق القاضي برهة حتى ظن الجميع بأنه
لن يتكلم ، فاستعجله أبو سعيد) :
أبو سعيد : ماذا يقول القاضي ؟
نوح : لقد تقدم قبل صاحبكم هذا
الكثيرون ، فلم أقبل تزويجها
أيا منهم !
أبو سعيد : أما صاحبنا هذا ..
نوح : أما صاحبكم .. فامهلوني ثلاثة
أيام لأنظر في أمره .
(ينهض أبو سعيد ورفيقاه) .
أبو سعيد : حسنا .. سنأتي اليك بعد ثلاثة أيام .
والآن نستأذنك في الانصراف ،
فإن صاحبنا ينتظر عودتنا .

(ينهض نوح مودعا ضيوفه) .
نوح : رافقتكم السلامة .
.. ..
خلال الأيام الثلاثة أخذ القاضي يفكر جديدا
في أمر زواج ابنته ، وأراد ذات يوم أن يستقر
على رأي في هذا الأمر . فخرج إلى بستانه الكبير ،
وطلب إلى غلامه أن يأتيه بقطف من العنب
ولكن ما إن تذوق حبة منه ، حتى خاطب غلامه :
نوح : ويحك يا مبارك .. إنه حامض ،
فأنتي بغيره .
(ويأتي الغلام بقطف آخر)
نوح : وهذا حامض أيضا يا مبارك .
مبارك : حامض !
نوح : نعم حامض .. اذهب وآت لي بغيره !
(ويأتي بقطف ثالث) .
نوح : ما بك يا مبارك ؟ تأتيني بالحامض ،
وفي البستان من الحلو كثير !
مبارك : عفوك سيدي .. اني لا أعرف الحلو
من الحامض .
نوح : مستغربا : لا تعرف الحلو من
الحامض ؟ !
مبارك : وحق سيدي عليّ لم أذوق منه شيئا !
نوح : ولمّ لم تأكل منه ؟
مبارك : لقد أمرني سيدي بالعناية به
لا بأكله !
نوح : بارك الله فيك يا مبارك .. انك والله
آمن من رأيت ! وقد وجدت لك
في نفسي منزلة من الحب .. واني
مستشيرك في أمر ، فهل تجيبني ؟
مبارك : أمر سيدي .. فما أنا إلا خادم .
نوح : اني أطلب اليك ذلك يا مبارك ،
فهل تعصيني ؟
مبارك : لا والله يا سيدي . قل ما تشاء ،
فاني طوع أمرك ، ورهن اشارتك .
نوح : لقد تقدم لخطبة ابنتي أناس كثير
من أصحاب الثراء وجهاء البلد ،
واحترت فيمن أزوجهما منهم .. واني
استشيرك في ذلك ، فماذا تقول ؟
مبارك : انني لا أشير عليك ، لكنني سأعرض
عليك أمرا .
نوح : قل .. اني أستمع اليك .
مبارك : كان الناس في قديم الزمان يرغبون
في الرجل الوسيم ، وفي عهد الجاهلية



كانوا يؤثرون القوي الشجاع ، وفي
عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
كانوا يفضلون التقي الأمين .. أما
في أيامنا هذه فالناس يتطلعون الى
صاحب المال والجاه .. فاختر لها
من هذه الأمور ما شئت !

(أطرق نوح لحظة ثم نهض)

نوح : هيا بنا الى البيت يا مبارك ، فقد
استقر رأيي على أمر مما ذكرت .

• • •

البيت عرض نوح على ابنته الأمر ،
فأجابته قائلة : الأمر لك يا أبت ..
وفي المساء حضر أبو سعيد وجماعته حسب الموعد .
أبو سعيد : ما هو جوابك لنا أيها القاضي .

هل استقر رأيك على شيء ؟
لقد خيرت نفسي بين المال والجاه ،
والنفوذ والسلطان ، والأمانة والتقوى ،
فاخترت لابنتي الأمين التقي !

أبو سعيد : أفصح رعاك الله !
نوح : اني أشهدكم بأنني قد زوجت ابنتي
لهذا الغلام .
(يشير بيده الى مبارك)

وفي

المريخ والكشف عن طبيعة سطحه

فيلم المكنون غوردن شالين

رحلة المريخ من الأرض إلى المريخ

الولايات المتحدة الأمريكية



«الملاح - ٤» يقترب من كوكب المريخ ويصوب نحوه انبوب تصوير تلفزيونياً. ويبدو كوكب المريخ في أقصى اليسار من الصورة تتوسطه البقعة السوداء التي تمثل أول علامة اكتشفت على سطحه عام ١٦٥٩ م.

تجمل دراسة المريخ مكانة خاصة في علم الفلك ، لأنه يتوقف على تلك الدراسة تقرير حقيقة تشغل بال المنقذين عن إمكان وجود للحياة على اختلاف صورها ، وعلى الأخص حياة الحيوان والإنسان ، على جرم سماوي غير الأرض . والمعروف في علم الفلك أنه لا يحتمل وجود حياة في السيارين عطارد والزهرة ، نظرا لقربهما من الشمس ، وطول مدة دورة كل منهما على محوره ، مما يعرض وجه الواحد منهما للشمس باستمرار فترتفع حرارته حتى تريد على درجة الغليان كثيرا ، فتقتل جميع أنواع الأحياء في حين يكون الوجه الآخر الذي لا يتعرض لأشعة الشمس على درجة من الحرارة أدنى من درجة التجمد .

ولما كان عطارد يدور على محوره وحول الشمس في مدة ٨٨ يوما ، فإن أحد وجهيه يظل معرضا لحرارة الشمس بشكل دائم ، فترتفع حرارة ذلك الوجه الى نحو ٣٥٠ درجة مئوية فوق الصفر ، ويبقى الوجه الآخر في ظلام دائم حيث تتدنى حرارته الى ٢٧٠ درجة مئوية تحت الصفر . أما الزهرة فإن أحد وجهيه يظل معرضا لحرارة الشمس مدة ٢٢٥ يوما ، تصل فيها حرارته نحو ٣٥٠ درجة مئوية فوق الصفر ، ويظل الوجه الآخر في ظلام دائم ، حيث تتدنى الحرارة الى ١٥٠ درجة مئوية تحت الصفر عند القطبين . وهناك من يقول أن الحرارة على الوجه البارد تبلغ ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وفي مثل هذه الظروف الحرارية لا يحتمل وجود حياة على

سطح الكوكبين السيارين عطارد أو زحل . والمعروف عن الكواكب السيارة الكبيرة ، كالمشتري وزحل وأورانوس ونبتون ، أن حرارتها عالية جدا ، والدليل على ذلك وجود بخار بعض المعادن في جوها ، كما يظهر من دراسات أطيافها ، فلا مجال لوجود الحياة على سطحها .

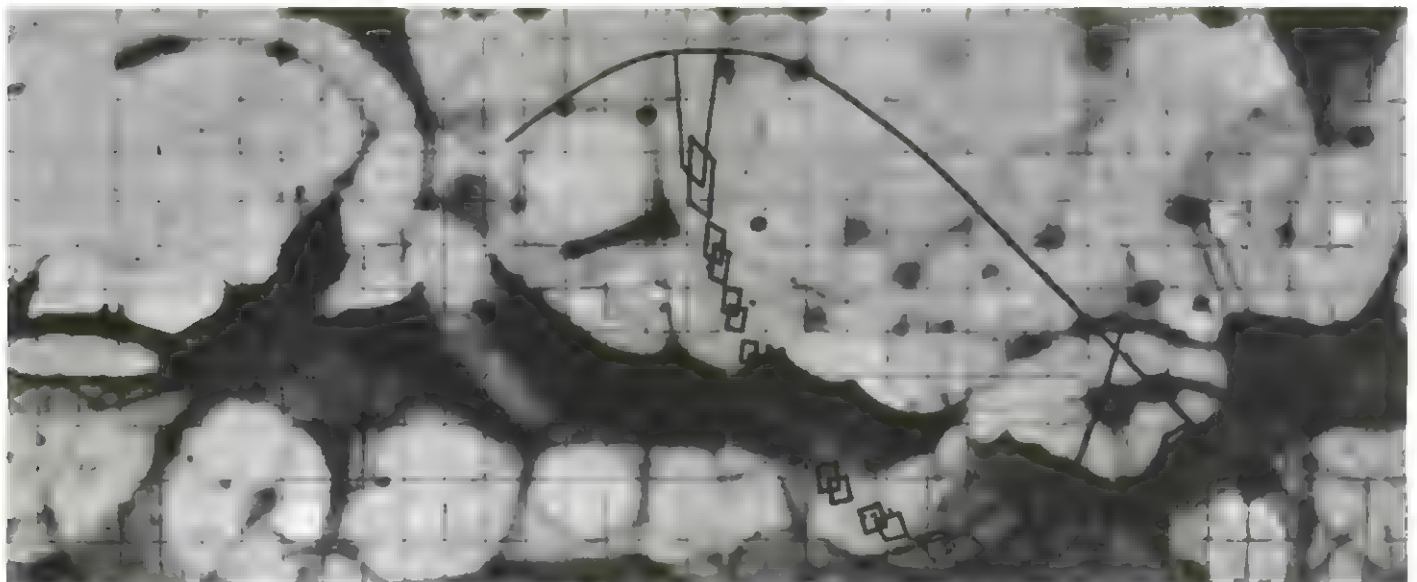
مما تقدم نجد أنه لم يبق الا المريخ ككوكب تتلاءم ظروف جوه مع احتمال وجود الحياة . فهو أقرب السيارات شها بالأرض : يومه أطول من يومنا بقليل ، اذ يبلغ ٢٤ ساعة و ٣٧ دقيقة ، ويتوالى فيه الليل والنهار ، كما هي الحال في الأرض ، وسنته تساوي ٦٨٧ من أيام الأرض ، أي أقل من ضعف سنتنا بمقدار ٤٣ يوما . وميل محور المريخ على سطح فلكه يبلغ نحو ٢٣ درجة و ٥٩ دقيقة ، وهذا قريب جدا من ميل محور الأرض على سطح فلكها ، وينتج عن هذا فصول أربعة هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ، بترتيب الفصول نفسه على أرضنا . الا أن طول هذه الفصول على سطح المريخ هو ضعف طولها على سطح الأرض تقريبا .

ويعتقد علماء الفلك أن المريخ محاط بجو يشبه في تركيبه جو الأرض ، وأنه يحتوي على البخار المائي كما تبين من دراسات أجريت بواسطة أجهزة مختلفة ، كالمطياف (سيكتروسكوب) ومستقطب الضوء (بولار سكوب) . ويتفقون على أن قبعي القطبين اللذين يتكونان أثناء الشتاء ويتقلصان أثناء الصيف والخريف ، مؤلفان من الثلج والجليد . وهناك عدد كبير من العلامات

الثابتة تشاهد دوما بالمقرّب ، لم يتفق الفلكيون على حقيقتها . ولا يوجد على سطح المريخ بحار أو محيطات ، نظير ما يوجد منه على أرضنا . أمور عديدة لم يتفق عليها

هناك

الآراء العلمية متضاربة بشأنها ، مثل كثافة جو المريخ ، ومقدار ارتفاعه ، ومقدار درجة الحرارة ومدى تغيرها من فصل الى آخر . كما أنه لم يكن من السهل تفسير طبيعة العلامات الخاصة التي تشاهد على سطحه . فقد شاهد علماء كثيرون بقعا قائمة تنتشر على سطح المريخ في اتجاهات مختلفة ودعواها ترعا أو أقنية . وذهب فريق الى أن تلك الأقنية مستقيمة محدودة الجوانب ، وذهب فريق آخر الى انها منحنية غير منتظمة . وفي سنة ١٩٠٨ تمكن العالم الفلكي « لول Lowell » من تصوير المريخ فوتوغرافيا ، فأخذ له أكثر من ألفي صورة ، ظهرت في كل منها تلك البقع القائمة والترح . ثم تبعه فلكيون آخرون ، وكانت صورهم مؤيدة لصوره . وعلى الرغم من أنه لم يكن بالامكان الاتفاق على جميع القضايا المتعلقة بسطح المريخ ، فإن الحقائق المتفق عليها كانت تؤيد إمكان وجود الحياة هناك . وجاءت نتائج عمليات الارصاد التي أجريت في عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٦ تزيد الأمر وضوحا ، وعلى الأخص لأن الصور التي أخذت في ذلك الوقت ، أثبتت بصورة جازمة ، أن البقع القائمة ، وعلى الأخص تلك الموجودة في النصف الجنوبي من كوكب المريخ ، الذي

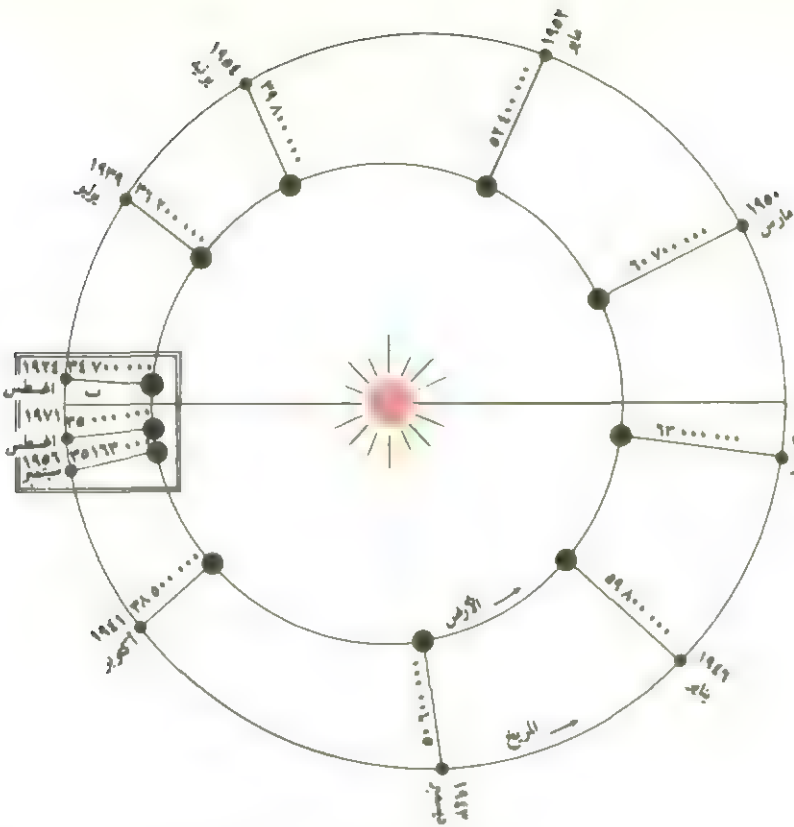


خريطة شاملة لكوكب المريخ تم تصويرها بواسطة « الملاح - ٤ » .

يكون متجهها نحونا ، تتغير بتغير الفصول . فتكون خضراء في الربيع وأوائل الصيف ، ثم يكمد لونها وتصبح قاتمة ، وبعدها تسمر وتصفّر ويتلاشى لونها ، متماشية بذلك مع ذوبان ثلوج القطب . فضلا عن هذا فقد ثبت بصورة أكيدة وجود اليخضور (الكلوروفل) الذي يحلل بفعل أشعة الشمس ثاني أكسيد الكربون ، ويطلق الأوكسجين في الهواء باستمرار . وأثبتت هذه الحقائق أن البقع القاتمة هي نبات ينمو في الربيع ويتكامل نموه في الصيف ، ثم يضعف ويذبل في الخريف وأوائل الشتاء ، تماما كما يحدث عندنا على سطح الأرض . وإذا صح وجود النبات على سطح المريخ فانه يرجح وجود حيوانات ولو من الأنواع الدنيا ، لأن وجود الواحد ملازم لوجود الآخر .

أما قياسات الحرارة ، فانها تدل بوضوح على تباين واختلاف في درجات الحرارة بين منطقة وأخرى ففي منطقة القطب الجنوبي تتراوح الحرارة بين ١٠ درجات تحت الصفر و ١٠ درجات فوقه أثناء الصيف ، أما في المنطقة المعتدلة فتتراوح بين ١٨ درجة و ٢٥ درجة فوق الصفر ، وفي المنطقة الحارة بين ١٨ درجة و ٣٠ درجة فوق الصفر ، وهذا قريب من الوضع الحراري لسطح الأرض .

وقد شاهد كثير من رجال الأرصاد غيوما كثيفة ، تتكون وتتعد بأشكال مختلفة في مجال المريخ الجوي ، وتدل هذه الغيوم على وجود جو عالي الكثافة ، يبلغ ارتفاعه ٢٠٠ كيلومتر يحيط بالكوكب السيار ويستطيع أن يحمل هذه الغيوم الثقيلة مدة طويلة . وهناك من يقول أن جو المريخ لطيف للغاية ، كالهواء فوق سطح الأرض على علو ٢٠ كيلومترا . وينسبون ذلك إلى كون حجم المريخ يعادل نصف حجم الأرض ، وإلى أن كتلته هي عشر كتلة الأرض ، فتكون الجاذبية على سطحه أربعة أعشار جاذبية الأرض ، مما يتيح للغازات أن تفلت إلى الفضاء بسهولة . والمعروف أن غاز ثاني أكسيد الكربون موجود في جو المريخ ، وكذلك بعض الأوكسجين . تقدم فن التصوير ، كانت نتائج تصوير المريخ بالألوان المختلفة والزجاج الشديد الحساسية مرضية للغاية ، وخصوصا باستعمال اللونين الأحمر والبنفسجي . فالصور التي أخذت باللون الأحمر الطويل الأمواج ، تظهر جليا معالم سطح السيار وما عليه بدقة فائقة . أما التي أخذت باللون البنفسجي القصير



رسم يبين مدار كوكب المريخ حول الأرض ، ففي أغسطس ١٩٢٤ بلغت أدنى مسافة بينهما ٣٤٧٠٠٠٠٠ ميل ، في حين كانت أقصى مسافة بينهما في فبراير ١٩٤٨ اذ بلغت ٦٣٠٠٠٠٠٠ ميل .

وإذا صورت في ظروف ملائمة ، بدت دقيقة مستقيمة قاتمة اللون ، ويتراوح عرضها بين ٢٥ و ٣٥ كيلومترا ، ومعظمها يكون أقواسا ذات اتساع واحد تنتشر على سطح السيار وكأنها شبكة خطوط هندسية متشابكة محكمة الوضع . وبعض هذه الترع مزدوج ويتخطى عدد منها خط الاستواء ، تمتد إلى نصف الكرة الآخر . لذلك ساد الاعتقاد عند البعض بأن الترع غير طبيعية ، وقد صنعت لجر مياه القطبين إلى المنطقة الاستوائية . . ويلاحظ آخرون أن هذه الخطوط منحنية ، لكنها دقيقة ، مما يدل على أنها طبيعية كالأنهر أو الوديان على الأرض . والفريقان متفقان على أن الترع أو الأودية ، مكونة من النبات الذي ينمو على جوانب مجاري المياه التي تنحدر من منطقة القطب حينما يبدأ الثلج بالنوبان . لذلك يتبدى نموه من ناحية القطب ويتدرج إلى جهة خط الاستواء أثناء الربيع والصيف .

كان جميع ما تقدم حصيلة جهود ودراسات قامت على معلومات جمعت بواسطة مراقب متنوعة ، منها ذلك المرقب الفريد من نوعه في مرصد جبل « ولسون » ، والذي يزيد قطر مرآته على مترين ونصف المتر بقليل ، والذي يكبر الأشياء نحو ٢٠٠٠٠ مرة . ومن ميزات المراقب أنها

الأمواج ، فلم يظهر فيها شيء واضح يسهل تمييزه ، الا قيع القطب . والمعروف أن أمواج اللون الأحمر تخترق الأجواء بسهولة ، بينما تنعكس أمواج اللونين البنفسجي والأزرق ، وتنتشر في الهواء عالقة بما يحمله من جزيئات الماء والغازات ، وهذا هو سبب زرقة الجو واحمرار الشفق عند الغيب . وطبقا لذلك لا تخترق أمواج نور الشمس البنفسجية جو المريخ ، بل ترتد عنه قبل أن تصل إلى سطحه ، وتنقل لنا صور أقسامه العليا فقط . لكن أمواج اللون الأحمر تخترق الجو وتصل إلى السطح ، ثم ترتد عنه ، فتعود إلينا حاملة صورا حقيقية له ولما عليه من معالم .

ولما كان رسم قرص المريخ المأخوذ بالأشعة البنفسجية أكبر من ذلك المأخوذ بالأشعة الحمراء ، فقد ثبت لدى الفلكيين الرأي القائل بكثافة جو المريخ . وبالمقابلة مع رسوم أخذت لسطح الأرض بالطريقة نفسها ، ظهر أن كثافة جو المريخ لا تقل عن كثافة جو أرضنا . وكان ظهور القيع القطبي في نوعي الرسوم ، برهانا ساطعا على أن الجو هناك مؤلف من الغيوم التي تسبح فوق القطب في الهواء ، ومن الثلوج التي تغطي سطح القطب .

أما الترع فقد ازداد الاعتقاد بوجودها ،

تقرب الأجرام السماوية من الأرض ، فيستغني الانسان عن تجهيز حملات للوصول اليها ودراستها عن كتب . لكن اطلاق مراكب فضائية تشق طريقها عبر الأجواء التي تسبح فيها الكواكب ، مكن الانسان من ارسال أجهزة دقيقة لدراسة معالم هذه الكواكب بطريقة أفضل . ولعل اطلاق المركبة الفضائية الأميركية « مارينر - ٤ » لدراسة طبيعة سطح المريخ عن كتب ، قد أنسى الناس الكثير من المغامرات التي جرت عبر التاريخ ، كاكشاف أميركا على يد كولومبس ، وما تحمله « بيرد » ورفاقه في الوصول الى القطب الشمالي ، وما صادفه آخرون أثناء الغوص الى أعماق البحار .

بريت رحلة « مارينر - ٤ » صباح يوم ٢٨ نوفمبر عام ١٩٦٤ ، من منصة الاطلاق في « كيب كندي » ، وكانت رحلة ناجحة ، حققت آمالا عريضة بعد جهود مضنية وتضحيات كبيرة . وكان من الضروري اطلاق هذه المركبة قبل نهاية شهر نوفمبر ، موعد انفصال « النافذة » (١) . ولولا نجاح الاطلاق في ٢٨ تشرين الثاني ، لتحتم على القائمين بهذا البرنامج ، أن ينتظروا الى شهر ديسمبر عام ١٩٦٦ ، عندما تفتح النافذة ثانية .

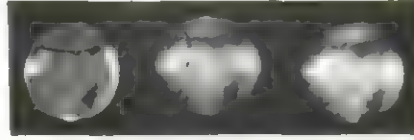
كان على المركبة الفضائية « مارينر - ٤ » أن تسير مسافة ٥٦٠ مليون كيلومتر ، بسرعة ٤١٠٠٠ كيلومتر في الساعة ، لتكون على مقربة من المريخ بعد ٢٢٨ يوما من تاريخ اطلاقها . وعندما تصل الى نقطة تبعد عن كوكب المريخ بنحو ٨٦٠٠ كيلومتر تبدأ آلة التصوير التلفزيونية التي زودت بها بالتقاط صور لسطح المريخ .

وصلت المركبة « مارينر - ٤ » النقطة المطلوبة بعد ظهر يوم ١٥ يولييه عام ١٩٦٥ . وتمكنت آلة التصوير التلفزيونية من التقاط ٢١ صورة ، لمنطقة يبلغ طولها ٢٤٠ كيلومترا . وأرسلت هذه الصور الى الأرض بمعدل صورة واحدة كل ثانية وكان كل مشهد بصور مرتين ، واحدة من خلال مصفاة زرقاء ضاربة للخصرة ، وأخرى من خلال مصفاة برتقالية مشوبة باحمرار .

وقد بلغ عدد الأجهزة التي زودت بها المركبة الفضائية « مارينر - ٤ » أثناء رحلتها ١٣٨٠٠٠ جهاز ، أطلقت للتثبت من وجود أشياء عديدة قيل انها موجودة على سطح المريخ ، فتبين جليا بعد تحليل الصور التي أرسلتها الى محطات المراقبة الأرضية ، انه لا أثر للأقنية هناك ،



تمثل الصورة اليمنى ظاهرة التعتيم المؤقت على سطح كوكب المريخ ، بينما تمثل اليسرى انحسار التعتيم . وقد التقطتا في ٢٣ ابريل ١٩٦٥ .

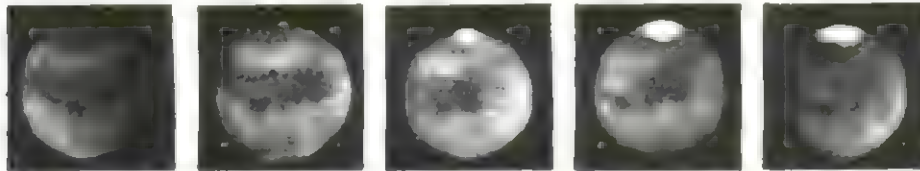


مجموعة أخرى من الصور التي أخذت لسطح المريخ في صبيحة وعشية اليوم الثاني عشر من ابريل ١٩٦٥ ، وهي تظهر التفاوت في كثافة الغيوم على سطح الكوكب .

صورة لجزء من سطح كوكب المريخ وقد التقطها « الملاح - ٤ » في ١٤ يوليو ١٩٦٥ .



نماذج أخرى من الصور التي التقطت لسطح المريخ حينما تعرض لعاصفة استوائية . وقد أخذت المجموعة اليمنى في ٩ يوليو ١٩٦٢ ، بينما أخذت المجموعة اليسرى في اليوم الذي تلاه .



لقطات متنوعة أخذت لسطح المريخ تبين نسبة التقلص في حجم القمع القطبي في فترات مختلفة ، فالصورة اليمنى تری حالة القمع في ١١ مايو حسب تقويم المريخ ، والثانية تری حالته في ٢٩ مايو ، والثالثة في ٢٣ يونيو ، والرابعة في ٣١ يولييه والخامسة في ٢٠ أغسطس . أما البقع السوداء فتمثل ما كان يعتقد في الماضي بأنها بحار .

نشرت هذه الصور باذن خاص من : « المتحف الأمريكي لتاريخ الطبيعي »

عظيما بمرور هذه المركبة الفضائية من وراء المريخ ، لأن اشارتها اللاسلكية مرت في جو الكوكب ، وقد أمكن تعيين كثافة جو المريخ بمعرفة مدى انحراف هذه الاشارات . وتعد لجنة الطيران والفضاء الأميركية العدة لارسال مركبة فضائية أخرى الى المريخ عام ١٩٧١ ، تحمل أجهزة بث أقوى بكثير مما سبق . ويعلق العلماء آمالا كبيرة على المركبات الفضائية ، أمثال « مارينر » ، في فهم طبيعة الفضاء والكواكب السابحة فيه ■

كما انه لا يوجد معالم شبيهة بما يوجد على سطح الأرض ، كسلاسل الجبال والأودية السحيقة ، وأحواض البحار . وقد ظهر شبه كبير بين سطح المريخ وسطح القمر ، واستطاع العلماء أن يكتشفوا ٧٠ فوهة بركانية ، تتراوح أقطارها بين خمسة كيلومترات و ١٢٠ كيلومترا ويغطي الجليد حوافي بعضها . وقد دلت الأجهزة على أن كوكب المريخ غير محاط بمجال مغناطيسي أو أحزمة اشعاعية كالتى تحيط بالأرض ، بل هو محاط بجو رقيق للغاية . وكان اهتمام العلماء

مصطفى صادق الرافعي

تأليف : الدكتور كمال نشأت
عرض وتعليق : الأستاذ أبو طالب زيان

التي تعلل بها في الدفاع عن صاحبه : « يجب أن نضع في اعتبارنا أن هذا التطرف خصلة نفسية ، عرفت عن الأدباء والفنانين عامة ، وهم الذين كان الرافعي يسلك نفسه في عدادهم ، ويضع قلمه حيث يشاء بينهم ، دون أن يخشى هذا الحساب ، أو يقدر أن يحصى عليه ناقد ما تطرف فيه أو سبح قلمه به في يوم من الأيام . وفي رأسي أن الدكتور نشأت قد خشي أن يتولى وحده الدفاع عن صاحبه ، فراح يلتبس سندا عند صديق الرافعي الأستاذ سعيد العريان الذي كان يحلو له أن يحسم جلّ قضايا الرافعي بروح موضوعية ، وأسناد من التواريخ . قال سعيد العريان يحدث عن الرافعي : « جلست اليه ذات مساء نتحدث حديثنا ، فقال ، وهو يدفع اليّ طائفة من رسائل القراء : اقرأ يا شيخ سعيد .. أ رأيت مثل هذا ؟ أ بحق لأحد أن يزعم لنفسه القدرة على خير مما أكتب في موضوعه ؟ أملك كاتب أن يرد علي رأيا من الرأي ؟ ومضى في طرائق من مثل هذا القول عن نفسه ، وعن طائفة من خصومه ، فعرفت أنه في لحظة من تلك اللحظات التي تنتبها فيها النفس البشرية الى طبيعتها ، فتؤمن بنفسها من دون كل شيء مما خلق الله ، ايمانا هو بعض الضعف الانساني في طبيعتنا البشرية ، وهو بعض أسباب القوة في النابغين من أهل الآداب والفنون .. »

قند روى الدكتور نشأت ما تميز به الرافعي عند كتابة مقاله ، وما ألزم نفسه به حين كان يعالج موضوعا من الموضوعات ، فهو حيناً يلتقط موضوعه من أفواه الناس ، وحيناً آخر يأخذه مما دونه في ورقات احتفظ بها في « جيبه » ، أما اذا لم يدفع الى كتابة الموضوع مباشرة ، فيعمد

رسالة أخرى له : « لقد قرأت « أوراق الورد » هذا الأسبوع ، بعد أن فرغت من قراءة لشكسبير ، وأخرى للامارتين ، وفي ظني أن « أوراق الورد » يرجح عليهما بكثير في معانيه وبيانته ، ولكن هو الحظ ... »

غير أن الاسترسال في هذه الاستشهادات التي أوردها الدكتور نشأت ، لما تأخذ من الرافعي أكثر مما تعطي له ، وبخاصة اذا لم تجد من يناقشها أو يسوق الحجج على الدافع الكامن وراء ما ذهب اليه الرافعي ، وجعله يفر هذا الغرور ، وان كان الرافعي نفسه قد كان يرى أنه يعدّ صنوا للامارتين أو شكسبير أو برجسون ، اذا قيس بعدد من أدباء عصره ، والمتنافسين وياه على عرش الأدب في وقته ذلك ، وعصره الذي عمر بالأدباء والباحثين .

على أن المؤلف الفاضل لم يقف سلبيا ، وهو المدفوع الى دراسة الرافعي بدافع التقدير ان لم يكن الاعجاب الذي أمل عليه هذه الصفحات حول هذه السيرة الثرة ، أمام ما أخذته عليه الدكتور نعمت أحمد فؤاد في كتابها « دراسة في أدب الرافعي » ، فالرسائل الخاصة التي كان يتبادلها الرافعي مع بعض أصدقائه ، والتي حاسبتها الدكتور نعمت عليها ، لم يكن بدّ من أن يفندها الدكتور نشأت ، ويرجعها في كتابه الى أنها « المجال الذي ينفض الانسان فيه كل ما بنفسه دون مواربة » . ويذهب المؤلف الى أبعد من هذا ، وهو أن الرافعي ساعة كتابة هذه الرسائل ، لم يكن يعلم أن صديقه الذي يرأسه سينشر رسائله في كتاب ...

والتعقيب المستطاب هنا كان أجدر بالدكتور نشأت ، الذي قدر المؤلف من كل نواحيه وأحاط به من جميع جوانبه ، حتى كانت هذه التعلّة

يغلب على ظني أن الذي دفع الدكتور كمال نشأت الى التأريخ للرافعي ، وتناول سيرته من شتى جوانبها هو ما تركه الرافعي من سبجات في عالم الفكر ، وسوانح في دنيا القربص .. أو لعل هذا الوفاء الذي قام به الدكتور نشأت ، كان بتوجيه من أستاذه الدكتور شكري عياد ، الذي لفت نظره الى الالمام بهذه السيرة ، ودراسة صاحبها الذي خلف هذا التراث في الأدب والنقد .

ولقد كان المفتاح في هذه الدراسة الحية من خير المفتاحات في دراسات الأعلام ، أو هي خير ما وفق اليه الكاتب الشاعر ، اذ ليس أصعب من تناول أسرة المؤرخ له ، ووضعه بين أفرادها ، وتحديد مكانته بين مختلف ثقافتها أو تبين اتجاهات نشأتها .

ولكن هل كان الرافعي الأديب والشاعر والناقد من هؤلاء الذين يصعب وضعهم على صعيد أسرهم ، أو تحديد معالم ثقافتهم ؟ أعتقد أن الاحساس الذي أحاط بالرافعي وحدّد مكانته بوظيفته المتواضعة قد بث فيه روح النضال ، وغرس فيه حب الظهور ، لا سيما ذلك الاحساس الذي قد ظنه ماسا بكرامته ، فعمل على أن يكون برزة بين أدباء العصر ، وواحدا من أولئك الذين يعتزون بمكانتهم ، ويذهبون بأنفسهم الى حد الغرور .

يحدد الرافعي نفسه ويصف مكانته ، حتى لا يتعب مؤرخيه بالبحث عنه أو التماس وضعه ، فيقول في احدى رسائله الى صديقه أبي رية : « انه أرقى من «برجسون» لأن أفكارا له في مقدمة كتابه «المساكين» طابقت بعض أفكار هذا الفيلسوف » .

ويحدد معالم ثقافته أكثر ، عندما يقول في

الى ما اتفق له من الآراء والأفكار ، ويكون منها حصيلة تكون اطارا لموضوعه ، وبنينا لما اعترم أن يمضي فيه ، دون تعب أو اجهاد . ولهذا فقد انفرد الراجعي من بين الأدباء عامة في وقته بالكتابة أنى شاء ، نتيجة لما كان يستحضره في ذهنه وجيبه من هذه الثروات ، التي يجمعها ويحرص على أن تكون حاضرة بين يديه كلما هم بالكتابة ، أو انتهى تسجيل خاطر من الخواطر في صورة مقال أو سائحة من السوانح على هيئة القصيد ، شعرا منشورا ، أو نظما محكوما بقافية .

المؤلف يفت المؤلف أن يسجل أبرز القضايا في حياة الراجعي ، فقد سجل رأي جورج ابراهيم صديق الراجعي ، وناقش رأي فؤاد صروف في تعليقه على موقف الراجعي من « مي » ، وإن كان رأيه الذي استقاه من تواتر الأنباء في تهيشه الجو المنزلي ، الذي كانت زوجته تعمل على صفائه ابتغاء أن يكون الأديب الكبير في راحة نفسية ، لا يقف طويلا أمام المناقشة وأعمال الفكر .

غير أن أخطر قضية في هذا الكتاب ، وهي معارك الراجعي الأدبية ، لم يكن من السهل أن تمر دون أن تناقش ، لا سيما وإنها شغلت في وقتها كثيرا من الأدباء ، وصرقتهم عما عداها من القضايا الأدبية الجادة . لذلك كان جميلا من المؤلف أن يقف أمام هذه المعارك ، ويسرد ما اكتنفها ، وما لابسها من آراء ، وما تمخض عنها من فوائد جناها الأدب ، واستفاد منها كثير من الأدباء .

ولكن هل كانت هذه المعارك خيرا كلها ؟؟ ذلك ما مرّ به الدكتور نشأت دون أن يقول رأيا فيه ، وإن كان الراجعي نفسه قد تولى الاجابة عليها ، وكأنه كان يخشى التساؤل الذي يتمخض عنها بعد القضاء عليها ، أو اخماد اوارها في وقت من الأوقات ...

ولا يبعد المؤلف كثيرا ، أو يفك عن مساق هذه المعارك ، حتى يذكر معركة الراجعي مع الدكتور طه حسين ، حين انتقد تدريس الأدب في الجامعة وكتب طه حسين عن كتابه « تاريخ آداب العرب » ما كتب ، أو حين التقيا في « جريدة السياسة الأسبوعية » وتعرض الدكتور طه لكتابه « حديث القمر » بما تعرض . ولقد ركّز الدكتور نشأت على معركة الشعر الجاهلي ، وتناول الأساليب الساخرة التي كان يقلد فيها الراجعي ابن المقفع في « كليله ودمنه » ، وشرح

الفرصة المواتية التي أتاحها ظروف المعركة ، متمثلة في هذا الكتاب الذي وجد فيه الراجعي ما يسهل له الرد ، في هذه المعركة .

وإن نسّي الأدباء فلن ينسوا ذلك الخلاف الشخصي الذي قام بين الراجعي وعبد الله عفيفي على وظيفة أدبية كان يشغلها الثاني ، في وقت كان يتطلع اليها الراجعي ويرى نفسه أحق بها . وقد لزم عبد الله الصمت وأثر السكون ، الى أن وافته الفرصة حينما تناول الراجعي نبوغ شوقي في الشعر وأرجعه الى دماثة غير المصرية ، فكتب منتصفا لنفسه ، ومدافعا عن الشعراء المصريين الذين سلبهم الراجعي ما يملكون من الخيال والملكة الشعرية .

المعارك الأدبية بعض معارك أدبية كان يقضي عليها في حينها وتموت لوقتها . لدقة الموقف الذي كان يتعرض له . وإن كان حكم الدكتور نشأت عليها كلها أنها عداوات .. ومن خير ما صنعه المؤلف في هذا الكتاب انه أفرد صفحات كثيرة لمؤلفات الراجعي ، وتحدث عن كل منها بأسهاب ومناقشة ، وتعدّى هذا الى كتيبه التي لم تطع في حياته ، أو التي كانت كانت متناثرة لم يكتب لها الظهور :

وقد أثار الدكتور جملة قضايا ، تعدّ خلاصات لاتجاهات الراجعي في ألوانه البيانية ، فالراجعي الذي برز ككاتب في لون معين من ألوان الأدب : شعرا ونثرا ، قد كان أميل في جملة الى روح التراث في وسائل صياغته ، وطريقة تعبيره ، بل وفي معجمه اللفظي ، وزخارفه البيانية ، حتى يمكن أن يصدق عليه قول تلميذه سعيد العريان :

« قرأ له فتحسبه رجلا من التاريخ ، قد فرّ من ماضيه البعيد ، وطوى الزمن القهقري ، ليعيش في هذا العصر ، ويصل حياة جديدة بحياة كان يحياها منذ ألف سنة أو يزيد في عصر بعيد » .

والحكم الذي ارتضاه المؤلف بالنسبة للراجعي من أنه لا يمكن أن يكون قصاصا ، مهما قرأ أو استعرض أدب الغرب الذي افتتن به مرة ، وراح يطالع الفرنسية ، علّه يصيب محزا ، كما أصاب في العربية مركزا ، لا يمكن أن ينسحب على الراجعي ككل ، الا اذا رأينا يرضى لنفسه بالتبريز ، والسبق في آداب العرب ، ويتراجع عما قن فيه ، ويولي وجهه نحو السلفية المحافظة التي لفتت نظر صحبته ، وعرفوها عنه ، حتى كان الدكتور أبو رية ينصح بقراءة أناتول

فرانس ، وجمهورية أفلاطون ، وغير هذا من الأدب الغربي المترجم ، الا أنه كان قليل الاقبال عليه الى الحد الذي لم يؤثر فيه ، أو يتأثر به .. والسؤال الذي يتطلب جواب الدكتور نشأت ، ويدعوه الى الدقة في تحديد معالم الطريق ، أو وضوح الرؤية أمام الأدباء ، يطرح نفسه في ذات الموقف الذي كان فيه الراجعي ، يجري وراء عدة أغراض من أغراض الأدب ، ويحاول الريادة فيها : هل نجح كأديب يمثل القرن العشرين ؟

يقول المؤلف : « اقتصر الراجعي على قراءة التراث ، وقراءته لا تمسك أود كاتب يظهر في القرن العشرين ، ولذلك كان الراجعي أديبا مرحليا » .

على أن هذا الحكم الذي ركن اليه المؤلف ، لا يمكن أن ينسبه دينونة الأدب العربي للراجعي في وقته ، فقال محاولا الدفاع : « إن الزمن الذي عاش فيه الراجعي ، كان للأدب الكلاسيكي فيه صولة ، وكانت فيه رغبة فسي تقليد النماذج التراثية الشامخة ، وكان جمهور القراء ، أميل الى روح الأدب القديم ، وكان المجددون لا يزالون فسي كفاحهم دون جمهور عريض يشد أزهرهم » .

والقضية الكبرى التي ناقشها المؤلف ، هي قضية الراجعي شاعرا ، وإن انتهى به الأمر الى هجر الشعر الذي كان يتطلع من وراء الاشتغال به الى منزلة عليا تسلكه بين شعراء عصره مكانة ومنافسة ، الا أنه لم يكتب له أن يقف وشوقي أو حافظ ابراهيم أو البارودي على ساق وقدم ، وإن كانت قد تحققت شاعريته في كمالها ونضجها في كتاباته النثرية ، وبخاصة في « أوراق الورد » . واستكمالا للبحث ، عقد المؤلف فصلا . حلل فيه الراجعي كناقداً ، وحصره في لون معين من ألوان النقد المتعارفة في عصره .

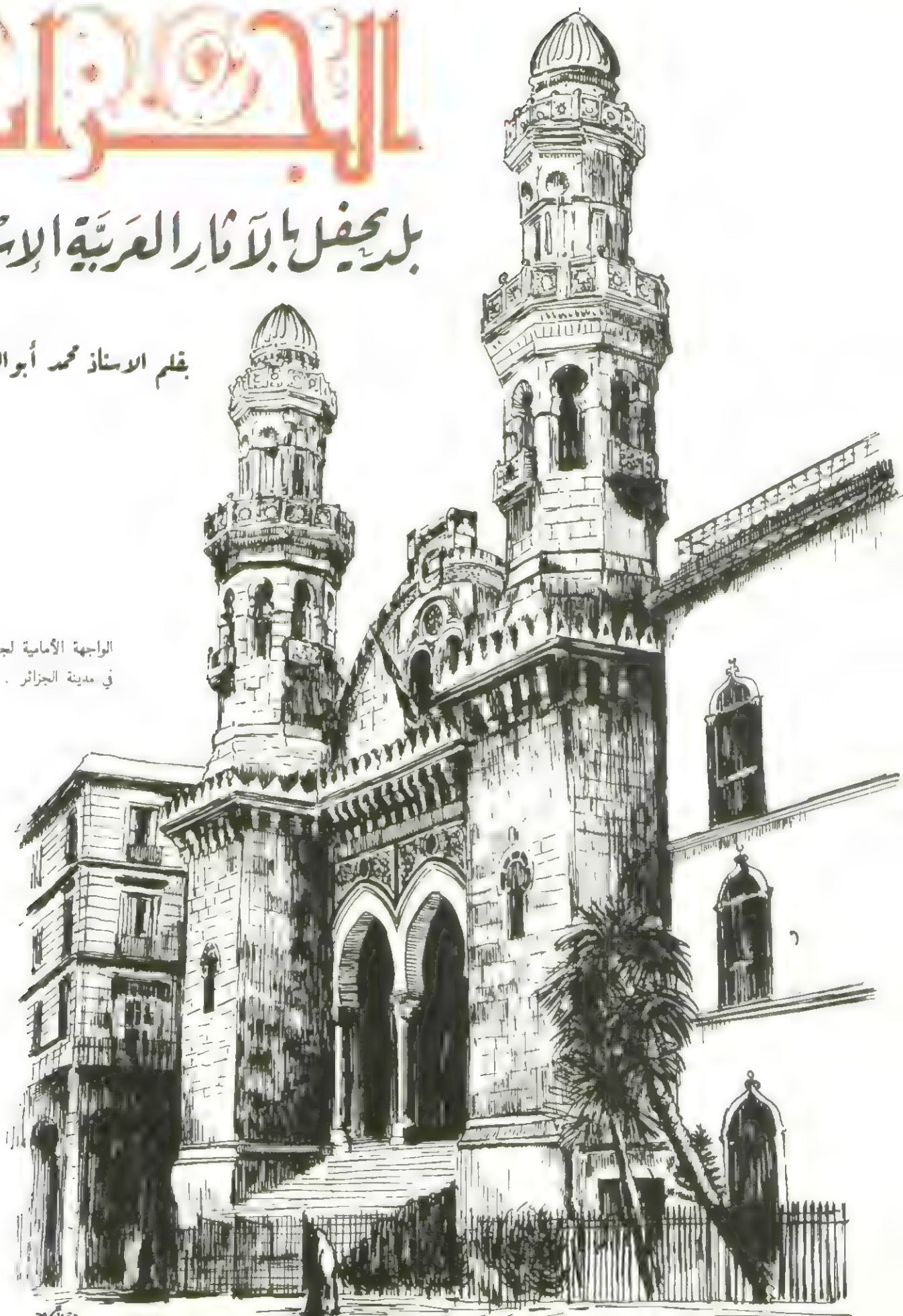
فالراجعي الذي حدد لونه النقدي بنظرته ، لا يمكن الحكم عليه بأن « أغلب ما كتبه في هذا الباب مساجلات » ، هي أدخل في باب المعارك القلمية منها في باب النقد بمعناه العلمي الحديث » ، والا ما اختلفت الآراء حوله في يوم من الأيام ، أو أشير الى أن هذا الاختلاف دليل حي على أهمية الرجل في مرحلة من مراحل أدبنا المعاصر ، الذي كان لا بد من وجوده للوقوف أمام الانكباب العنيف على حضارة الغرب منذ مطلع هذا القرن .

الإسلام

بلد يحفل بالآثار العربية الإسلامية

بقلم الأستاذ محمد أبو الفرج العشي

الواجهة الأمامية لجامع « كيتشاوا »
في مدينة الجزائر .



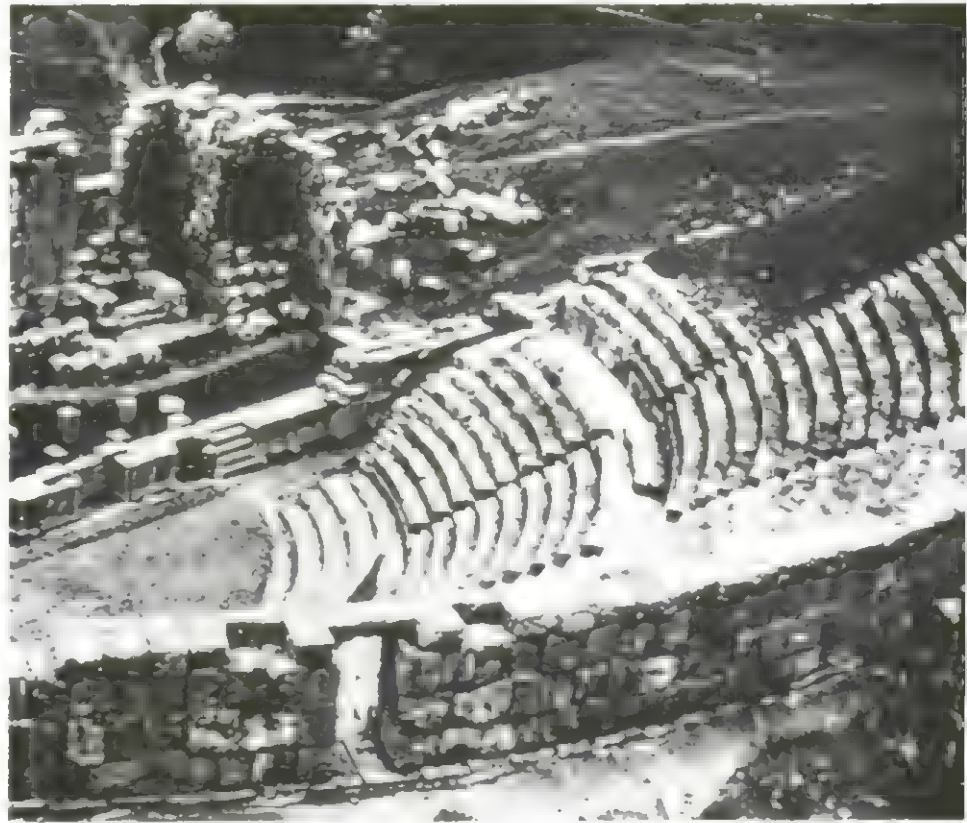
مدينة الجزائر على سفح جبل
أبي زريعة ، وتشغل الأسواق
والمؤسسات الاقتصادية والسياحية السهل الساحلي
الضيق الملتف حول الخليج الطبيعي والميناء ،
ثم تتوسع المدينة زاحفة الى الأعلى حتى تكتسح
الغابات التي تكسو جميع الجبال المحيطة . منظر
جميل أخاذ : ان كنت في المنطقة العليا فانك
تشرف على مشهد جامع ، وان كنت في المنطقة
السفلى فان الأبنية المترابكة المتسامية تحت هالة
الخضرة وزرقة السماء تدهشك برونقها وجمالها .
ان المدينة الجديدة بشوارعها وحدائقها وأبنيتها
معجبة حقا ، وان « القصبة » المدينة القديمة
ليست دونها أهمية وطرافة وجمالا . فهي أيضا
تقع على سفح حاد الانحدار ، دورها مترابكة
ومتوجهة جميعا الى البحر ، يرقى الانسان اليها
من أنهجها (١) المدرجة الضيقة ، ففي كل
زاوية سبيل جميل محلى بالزليج (٢) أو سوق
صغيرة أو مشهد لطيف يدل على العادات والتقاليد
القديمة .

ويعود تاريخ هذه المدينة الى العهد الذي حط
فيه الفينيقيون في هذا الموضع في الألف الأول
قبل الميلاد ، وبنوا فيه مدينتهم ، وقد أطلقوا
عليها حينذاك اسم « أكسيون » . وفي العهد
الروماني حرقت الكلمة الى « أكوزيوم » . واذا
فحصنا صورة الأرض للادرسي فانا لا نجد
عليها كلمة « الجزائر » ، وانما نجد في موضعها
« جزائر بني مزغناي » (٣) . ويقال ان أول
من أطلق عليها اسم « الجزائر » هو « بلكين » (٤)
الزيري « أحد عمال الفاطميين (٣٦٢-٣٧٣هـ) ،
وذلك لأن في خليجها الجميل جزائر منبثة هنا
وهناك . ويبدو أن هذا الاسم لم يدرج كثيرا
على الألسن بهذا الشكل في ذلك الوقت ، حتى
أن الادرسي ، وهو من أهل القرن السادس
المجري ، لم يثبت الكلمة على مصوره
الآنف الذكر .

عندما درج الاسم على الألسن ، وكانت
هذه المدينة قد أصبحت حاضرة البلاد ، أطلق
الاسم أيضا على الربوع الممتدة حولها من
أفريقية (٥) ، جريا على العادة في اطلاق اسم
الجزء على الكل ، أو اسم الكل على الجزء ،
كما هو الأمر في تسمية مصر والشام وتونس .
وليست المعالم الأثرية كثيرة في مدينة الجزائر ،
ولعل حي « القصبة » بما فيه من الدور والقصور ،
وما حوله من الجوامع والمدارس والأسواق يشكل
المنطقة الأثرية والفولكلورية بمجموعها .



مدخل جامع المنصورة الواقع في ضاحية تلمسان ، وقد غلب عليه طابع البناء الاسلامي .



المدرج الروماني ، وهو من أنقاض مدينة « كويكول » الرومانية التي تعرف اليوم باسم « جميلة » ، ويرجع
عده الى القرن الثالث الميلادي .

(١) يطلق اخواننا في شمالي أفريقية كلمة « النهج » على الطريق . (٢) الألواح الخزفية يكس بها الجدران والأرض . (٣) أورد ياقوت لفظ « الجزائر » .
(٤) ورد اسمه كذلك في ابن الأثير وفي جميع المراجع القديمة ، وقد لاحظت ان اسمه في النشرات السياحية الجزائرية « بلوغين » . (٥) كتبت كلمة
« أفريقية » على مصور الادرسي في أنحاء تونس فقط .



أحدى الحدائق العامة المطلّة على البحر ، في مدينة الجزائر .

لنفسه ثم أصبح بعد الاستقلال مركزا سياحيا .
متحف التقاليد الشعبية : قصر جميل يعود الى القرن الثاني عشر الهجري ، يقع في حي القصبة ، وانتقلت ملكيته من يد أجنبية الى أخرى ، وأخيرا حوّل الى متحف لطيف يضم نماذج من الصناعات القديمة ، وصورا من التقاليد الشعبية .
متحف البارود : قصر هام يبدو أن اسمه محرق من كلمة (Prado) الاسبانية بناء لاجي تونس نبيل ، هو الأمير مصطفى بن عمر ، في أوائل القرن التاسع عشر ، خارج مدينة الجزائر قبل توسعها ، لكنه الآن يقع في المدينة الجديدة قرب حديقة الحرية . ويتميز بأواوينه الصيفية اللطيفة . ويشغل هذا البناء المتحف ، وفيه فرع ما قبل التاريخ ، والفرع « الانثوغرافي » .

المتحف الوطني للآثار في مدينة الجزائر

جامع كيتشاوا : وهو بناء هام جدا من الحجر يقع في أسفل حي القصبة ، بناه الحاكم حسن الذي خلف محمد باشا سنة ١٢٠٩ هـ ، وكان الفرنسيون قد قلبوه الى كنيسة ثم أعيد الآن جامعا .
مدرسة عبدالرحمن الثعالبي : بناء قديم يعود تاريخه من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ، وقد جدد في أوائل القرن العشرين . ويعتبر من أجمل المباني الاسلامية .
المركز السياحي : وهو قصر فخيم يعود تاريخه الى القرن الثاني عشر الهجري . ويمثل بحق الدار الجزائرية الحميلة . ويقع تجاه جامع كيتشاوا . وكان الحاكم الفرنسي قد اتخذ موقعا

ومخطط الدار الجزائرية القديمة يكاد يكون متشابها في كل بيت قديم : يدخل الى دهليز ضيق يؤدي الى باحة سماوية ذات أروقة تحف بها من جميع الجهات ، وهي محمولة على عمد قصيرة ، يربط بينها عقود ذات أقواس حدوية مروسة (٦) زينت جبهاتها بشرط من الزليج . وتقع الغرف وراء الرواق ، وتحلى جدرانها الخارجية والداخلية بأزار من الزليج ، وتفرش أرضها بالزليج أيضا ، ثم يزين أعلى جدرانها بزخارف على الجص تبدو على جانب كبير من الدقة والرشاقة .

ومن العجيب حقا أن الدار الجزائرية ، مهما كانت بسيطة وفقيرة فانها لا تخلو من زينة بالزليج والجص .

الجامع الكبير : بناه يوسف بن تاشفين (١٠) المرابطي سنة ١٠٧٢ هـ (١٠٧٩ م) على النمط العربي الأندلسي . ويتوسطه صحن واسع محاط برواق فخم جميل . وتشرف عليه مئذنة سامقة مربعة الشكل . أما حرم الجامع فواسع ، وسقفه محمول على عقود حدوية الشكل تستند الى أعمدة تميل الى القصر . وأقواس البلاطة الرئيسية متعددة الفصوص . ومحاربه مثال بديع من الصنعة الأندلسية المغربية .

آثار من العهد الإسلامي

أكثر المدن الجزائرية أهمية من حيث الآثار العربية الإسلامية هي مدينة « تلمسان » . واسمها القديم « تافزرت » على نحو ما ذكر الجغرافيون العرب ، وقد بناها الملمثون . وهي تقع في المنطقة الغربية من الجزائر وقد حباها الله جمالا في الطبيعة وسعة في الخيرات . ومن أبنيتها الأثرية الهامة :

المتحف الأثري : وهو بناء مبني على الطراز العربي المغربي في حديقة الحرية . ويضم المتحف مجموعات أثرية من جميع العصور ، إلا أن أهمها هي الآثار العربية الإسلامية .

وقد لفت نظري فيه قارورة زجاجية مموهة بالمينا والذهب ، أعتقد أنها من صناعة إحدى المدن الإيطالية في القرن الخامس عشر الميلادي تقليدا للصنعة العربية الأندلسية على الخزف ذي البريق المعدني التي يعود تاريخها الى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين .

بيت الفنانين : بناء لطيف ، تقع الى جواره دارة لطيفة تتميز بجزء مرتفع من البناء يبدو وكأنه منارة .

متحف الفنون الجميلة : وهو حديث البناء ويقع في المدينة الجديدة على مرتفع يشرف على حديقة الحيوان . ويضم عددا كبيرا من اللوحات الفنية وقطع النحت ، وهي من إنتاج أجنبي غير عربي .

العهد الفينيقي في القطر الجزائري

آثار من العهد الروماني

أهم المواقع الأثرية في الجزائر مدينة « جميلة » ، وكان اسمها مدينة « كوبيكول » في العهد الروماني . وتقع في المنطقة الشرقية من القطر الجزائري في قلب الجبال العالية (٧) .

تعود أبنية مدينة « جميلة » الى القرنين الثاني والثالث الميلاديين . وهي مدينة كاملة بنيت حسب المخطط الروماني على الرغم من أنها تقع في أرض غير مستوية . وتحوي جميع عناصر المدينة الرومانية القديمة ، كالشوارع المتقاطعة ذات العمدة ، والترايبيل (٨) ، والميادين ، والهاكل والأسواق ، والحمامات . وشوارعها معبدة بالحجر ، ومدرجها واسع مبني على سفح منحدر ، وأبنيتها على جانب كبير من الأبهة ، وأرض قاعاتها مرصوفة بالفسيفساء (٩) .

من أهم القطع الأثرية التي لفت نظري في مدينة « جميلة » نحتة من الحجر تمثل مكيال حبوب من الحجر ، ويستعمل بأن يغلق هارب المكيال في الأسفل ، ويملا حوض المكيال بالحبوب ، ويوضع الوعاء المطلوب املاؤه تحت المكيال ، ثم يفتح الهارب ، فيملا الوعاء .

مئذنة الجامع الكبير وقد ازدانت واجهتها ببعض النقوش الزخرفية .

(٧) من المواقع الأثرية التي تعود الى هذا العهد أيضا مدينتا « تيبازا » و « تمناد » .

(٨) قوس عظيمة في مفرق الشوارع الأربعة الرئيسية للمدينة .

(٩) نزع بعض قطع الفسيفساء ، وأعيد وضعها في المتحف الأثري .

(١٠) استقل عن حكم عمه إبراهيم بن أبي بكر منذ سنة ٨٤٥٣ هـ ، ثم ساد حكمه



منظر عام لمدرسة عبد الرحمن الثعالبي في مدينة الجزائر وقد أسست في القرن الثامن عشر الميلادي ، ووجدت في أوائل القرن الحالي .
المدخل الرئيسي لقصر البارود الذي تحول اليوم الى متحف أثري .



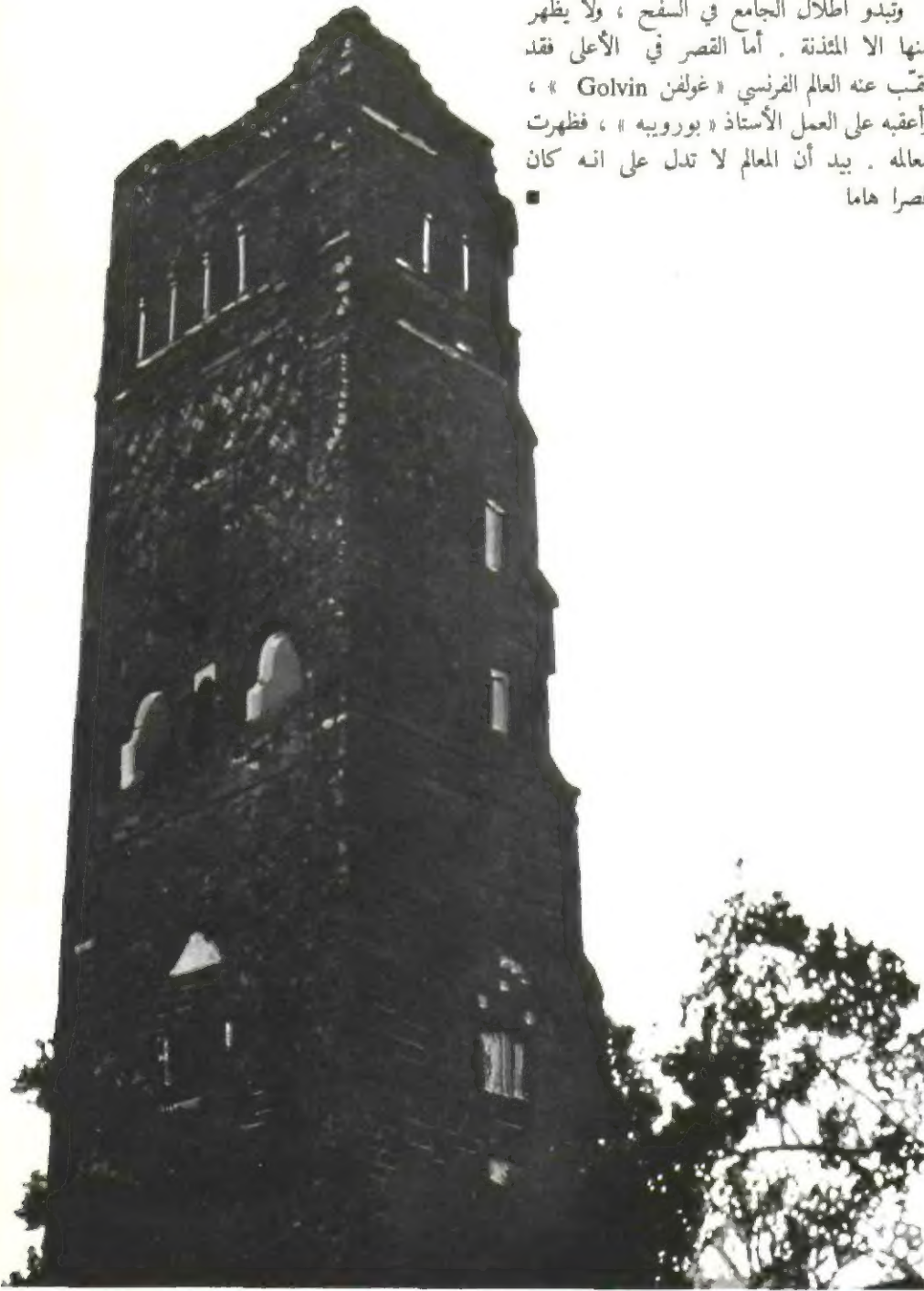
ولم يتسنّ لي أن أشاهد المنبر ، لأن المنابر في المساجد الجزائرية والمغربية جميعا تزلق على سكة ، فتدخل في فجوة الى جانب المحراب ، وتبرز فقط في أيام الجمعة ، وذلك لافساح المجال أمام المصلين في أيام الأسبوع .
جامع سيدي أبي الحسن : وهو مقرّ المتحف في تلمسان ، بناه الحسن علي المريني (١١) على مقربة من الجامع الكبير . ويتميز هذا الجامع بمحرابه الجصّي المقوش حسب النمط الأندلسي .

جامع سيدي بومدين (جامع العباد) : بناه أبو عنان فارس المريني (١٢) سنة ٧٣٩هـ (١٣٣٩م) . ويعتبر مدخل هذا الجامع وبابه الخارجي من أجمل ما عرف في بناء الجوامع العربية المغربية والمشرقية أما الصحن فكالعادة محاط برواق ، تتوسطه بركة لطيفة غشيت مع أرض الصحن بالزليج البديع . وواجهة المحراب لا أبالغ اذا قلت انها تفوق الوصف روعة وجمالا ، وتعلوها قبة تعتبر أجمل مثال للجص المنحوت بزخارف عربية هندسية ونباتية .

قلعة تلمسان (١٣) : وهي مقرّ الجيش ، وتعتبر من أهم القلاع في العالم العربي الاسلامي سعة وفخامة . وتقع مدينة تلمسان حول القلعة .
المنصورة : مدينة بنيت خارج تلمسان على بعد نحو خمسة كيلومترات في منطقة زراعية جميلة . أطلال المدينة شبه دارسة ، الا أن معالم المسجد لا تزال ماثلة بمثلته وسوره ومدخله العظيم على رابية قريبة .

ويذكر ابن خلدون أن الذي بنى « المنصورة » هو السلطان أبو يعقوب في سنة ٧٠٢هـ ، لكن الكتابة حول الباب تشير الى أن البناء تم بعد موته في سنة ٧٣٦هـ في عهد ابن أخيه أبي الحسن . وربما كان المشروع من وضع الأول ونفذ في عهد الثاني بعد استعادة المنطقة من المراكشيين الذين احتلوا المنطقة فترة من الزمن .

جانب من جامع المنصورة في ضاحية تلمسان ، ويرجع تاريخ بنائه الى عام ١٠٧٩م .



- (١١) حكم تلمسان بين ٧٣٦-٧٣٧هـ ، ثم خلفه عليها ابنه أبو عنان فارس المتوكل . أما حكمه في فاس فقد امتد بين ٧٣٢-٧٤٩هـ .
- (١٢) اشتهر هذا الحاكم بمنايته بالمران ، وقد خلفه اسمه بكثير من الجوامع والمدارس في هذه المنطقة وفي المغرب ، وخاصة في فاس . وقد وصل فن البناء العربي المغربي في عهده الى الأوج ، وما أتى بعده كان تقليدا لهذا الفن المثالي . (١٣) لم يكن لدى وقت للحصول على إذن لزيارتها من الداخل . وقد قيل لي أن مسجدنا على غاية من الجمال . (١٤) حكم بنو حماد المغرب الأوسط وفيه قلعة بني حماد ، وامتد نفوذهم الى « ميلة » و « طينة » و « أشير » و « بجاية » ، وظل حكمهم حتى تغلب عليهم الموحدون سنة ٥٤٧هـ .

الحركة الأدبية في العالم العربي

المدينة « للدكتور يوسف ادريس ، و « أعترف اليك » للأستاذ أحمد فؤاد تيمور ، و « رياح كانون » و « الظمأ والينبوع » وهما للأستاذ فاضل السباعي .

كما صدرت طائفة من الروايات الطويلة منها : « العائد » للأستاذ خليل تقي الدين ، و « ميمونة » للكاتب السنغالي عبد الله ساجي وقد ترجمها الأستاذان بهجت فنتسة ونعيم قداح وراجعهما الدكتور أحمد سليمان الأحمر .

أما المسرحيات فقد ظهرت منها مسرحية « قصر اللؤلؤ » للشاعر الاسباني بليسيا وقد ترجمها الدكتور لطفي عبد البديع ، وظهرت للأستاذ فاروق خورشيد ثلاث مسرحيات فسي مجلد واحد هي « المسألة » و « ثالثا وأخيرا » و « بظاظة » . وتصدر قريبا للأستاذ رشاد دارغوث مسرحية « صراع » .

من الدراسات الدينية التي صدرت مؤخرا « محمد عند علماء الغرب » للأستاذ الشيخ خليل ياسين ، و « دراسات في الصحيح والكافي » للأستاذ هاشم معروف الحسيني ، و « الفداء في الاسلام » للدكتور الشيخ أحمد الشرباصي . كتاب جديد صدر للسيدة سنية قراة عن « تاريخ الأزهر في ألف عام » . وقد صدرت طائفة من الكتب من قبل عن الأزهر . ككتاب العلامة المؤرخ الأستاذ محمد عبد الله عنان . وكتاب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي وهو في خمسة أجزاء ، وكتاب المستشرق الأمريكي « بيارد دودج » وهو باللغة الانكليزية .

في الشعر صدرت مجموعة من الدواوين الجديدة منها « من أغاني المطر » للأستاذ محمد منذر لطفي ، و « من دفتر الصمت » للأستاذ محمد عفيفي مطر ، و « صرخة » للشاعر الليبي الأستاذ علي صدقي عبد القادر . دراسة عن الأدب المعاصر صدرت للأستاذ أنور الجندي عنوانها « أضواء على الأدب العربي المعاصر » تناول فيها المؤلف المؤلف بالدرس الحركات الأدبية من أيام جمال الدين الأفغاني الى العقد الثالث من هذا القرن .

الدكتور الأديب مصطفى الديواني الاختصاصي في أمراض الأطفال معروف بجولاته السياحية التي شملت عددا غير قليل من بلدان العالم . وقد سجل الدكتور الديواني خواطره عن البلدان التي زارها في كتاب كبير عنوانه « رحلات العمر » . في أدب الخواطر صدر كتاب للأستاذ الياس

مسوح عنوانه « حنان يا أصدقائي » . كما يصدر قريبا للأديب اللبناني المفكر الأستاذ بولس سلامة كتاب « تحت السنديانة » وهو بدوره من كتب التأملات الأخلاقية والأدبية والفكرية .

• جمع الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال أكثر من ٣٠ ألف لفظة في معجم جديد أصدره بعنوان « معجم شمال المغرب : تطوان وما حولها » . صدر للمرحوم الدكتور ناصر الحانسي كتاب « في الحضارة العربية - صور عباسية » . مجموعة من الكتب الفلسفية الجديدة صدرت مؤخرا ، منها « دراسات في الفلسفة المعاصرة » و « مقدمة في الفلسفة العامة » وكلاهما للدكتور يحيى هويدي ، و « الفلسفة في ضوء علم الاجتماع » للدكتور قباري محمد اسماعيل . كما صدرت طبعة ثانية من كتابي « ديكرات » و « باسكال » وهما للدكتور نجيب بلدي . وصدر للدكتور عبد الغفار مكاوي كتاب « مدرسة الحكمة » ، وهو دراسة في النظريات الفلسفية .

• حقق فضيلة الشيخ محمد فهم أبو عيبة كتاب « نهاية البداية ونهاية الفن والملاحم » لأبي الفداء الحافظ بن كثير ، وصدر الكتاب في الرياض .

• عكف المؤرخ العراقي الأستاذ عبد الرزاق الحسيني على اعداد سجل موسع « لتاريخ الوزارات العراقية » وقع في عشرة أجزاء كبار .

• يصدر قريبا للأستاذ محمود البليدي كتاب « النيابة العامة مؤسسة عربية لا فرنسية » وهو يتناول جانبا هاما من جوانب التاريخ القضائي على نحو ينصف العرب ويسجل لهم أسباب السبق . وضع الدكتور علي عبد المجيد عبده كتابين كبيرين من فنون الادارة هما « الأصول العلمية للتسويق » و « الأصول العلمية للادارة والتنظيم » . « نقل الأعضاء والأنسجة » عنوان كتاب باللغة الانكليزية اشترك في وضعه الدكتوران عادل أبو العينين ومحي الدين الخرادلي .

• في مكافحة الأمية صدر كتابان للدكتور محمود رشدي خاطر هما « من تجارب الأمم الأخرى في مكافحة الأمية » وهو يقع في جزئين و « مشكلة الأمية : دعوة وتحليل وخطة » .

• كتاب مفيد عن « راديو الترانزستور و راديو السيارة » صدر للمهندس فاروق حسين ابراهيم . وضع المهندس الأستاذ عز الدين فرج كتابا عن « المخبأ » يسترشد به في الوقاية من أخطار الحروب .

• البحثة الراحل فؤاد حمزة هو من الذين خدموا التاريخ السعودي . فضلا عما كان له من مناصب رسمية جعلته يسهم بشخصه في بعض جوانب هذا التاريخ . وقد صدرت أخيرا طبعات جديدة لكتبه الثلاثة التي نفذت من وقت بعيد . فسدت صدورها فراغا في المكتبة العربية . وهذه الكتب هي « قلب جزيرة العرب » و « في بلاد عسير » و « البلاد العربية السعودية » . استأثر الأدب الروائي بقدر كبير من عناية الأدباء ، فأصدرت اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة كتابا كبيرا عنوانه « من القصص العالمي » للأستاذ عيسى الناعوري اشتمل على ترجمة اثنتين وثلاثين أقصوصة من الآداب الفرنسية والانكليزية والايطالية والاسبانية والسويدية وغيرها . وأشرفت على مراجعة الترجمة لجنة قوامها الأساتذة محمود سيف الدين الايراني وجريس القسوس وحسام الدين اللحام . ومن الأقاصيص التي صدرت أخيرا « قاع

قلعة بني حماد... من الأثار الإسلامية في الجزائر (راجع المقال)



أمدّ معال فرز الفاز من الزيت التابعة لحقل الغوار (أهم الحقول)
تصوير: يوسف محمد

